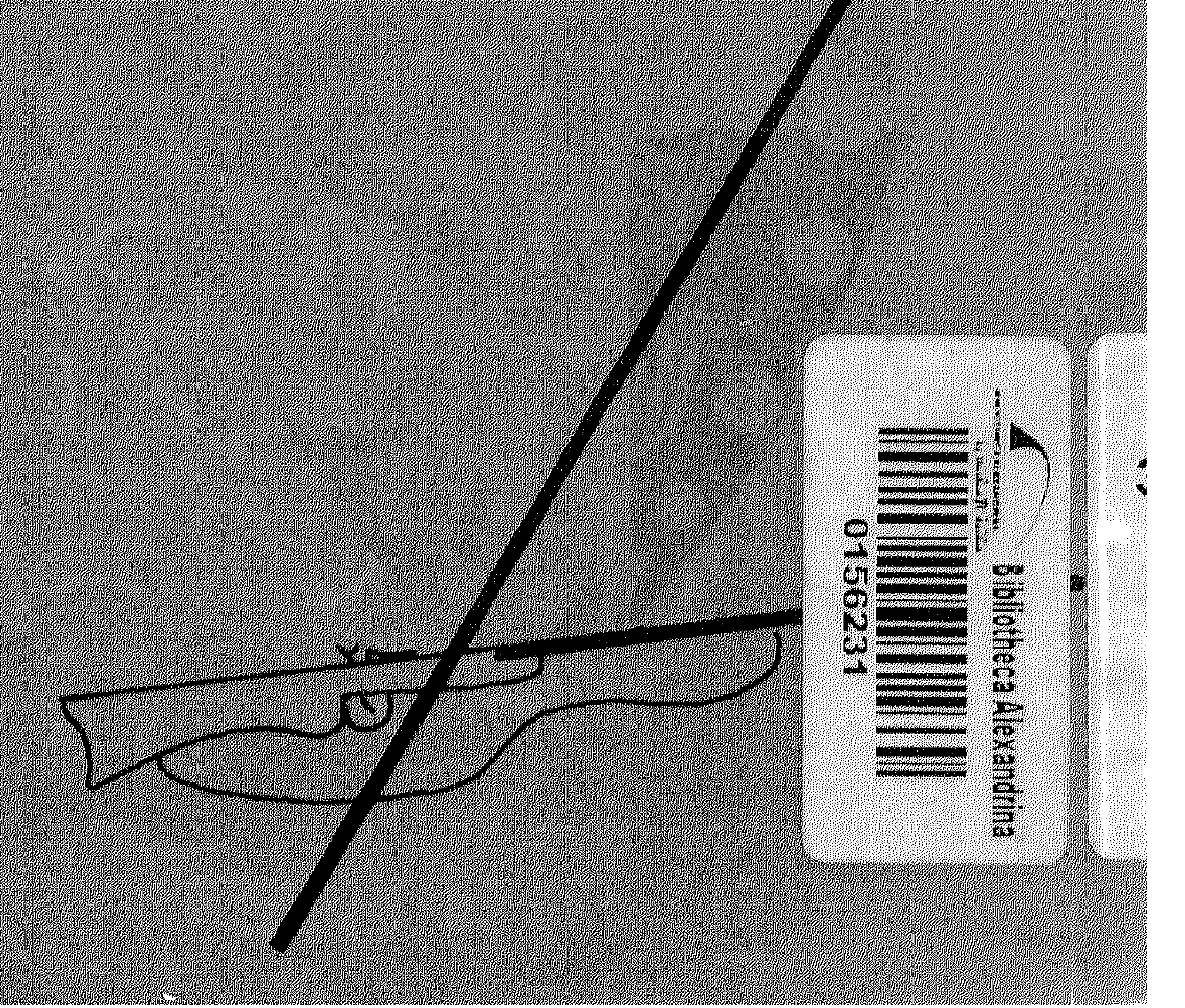
الدور الحضارى
للجيش المصرى
فى القرن التاسع عشر - فى آسيا وأفريقيا

تأليف: الدكتور السيد يوسف نصر
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة أسيوط



الطبعه الأولى
يناير ١٩٨٣م

الدور الحضارى
للجيش المصرى
فى القرن التاسع عشر - فى آسيا وأفريقيا

تأليف: الدكتور السيد يوسف نصر
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة أسيوط

الناشـــر
مكتبة مدبولي بالقاهرة
٦ ميدان طلعت حرب
ت ٧٥٦٤٢١

تقـــديـــم

كان الهدف من وراء كتابة هذا البحث هو أظهار أهم أدوار الجيش المصرى الحضارية عبر العصور، وبخاصة منذ بداية القرن التاسع عشر. ففى هذه الفترة لعب الجيش المصرى دورا حضاريا بارزا فى انجاز الكثير من المشروعات الأقتصادية التى تتمثل فى تمهيد الطرق وتعبيدها، وحفر الترع وأقامة الجسور، وكذلك فى الأعمال الزراعية، وفى المصانع وغيرها من المشاريع الأخرى. ولم يقتصر العمل على وقت السلم فقط، بل يبدو أنه كان يخصص عدد من الجنود الذين لايصلحون للخدمة العسكرية، للقيام بهذه المساهمة فى المشاريع المدنية. وبالفعل نجح هؤلاء الجنود المصريون فى انجاز أعمال كثيرة فى عهد محمد على، ليس فى مصر فحسب ولكن أيضا فى السودان. فقد ساهم هؤلاء الجنود بصورة فعالة فى جلب الماشية السودانية الى مصر، وبخاصة عندما أصيبت الماشية المصرية بالفناء، بسبب القحط الذى حل بالأرض المصرية وبسبب الحروب الأهلية التى شهدتها مصر فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وبسبب انتشار مرض الطاعون فيما بين هذه الماشية. وكذلك ساهم هذا الجيش فى جنى ونقل الصمغ العربى من السودان الى مصر، فضلا عن المساهمة فى المشاريع الزراعية التى تمثلت فى زراعة الأراضى بمحاصيل ليست موجودة فى الأقاليم الأفريقية عامة والسودانية خاصة.

وكذلك ساهم هؤلاء الجنود فى المشاريع العمرانية التى تمثلت فى اقامة المدن فى السودان، وفى غيرها من أقاليم افريقيا الشرقية، وفى أعالى النيل. وكذلك ساهم الجيش المصرى فى نقل البريد ومد خطوط السكك الحديدية السودانية. وبالفعل كان لهذه الأعمال التى قام بها الجيش المصرى فى الأقاليم الأفريقية أثرفعال على النهضة الأقتصادية فى تلك البلدان.

ولم يكن هذا الدور الأقتصادى قاصرا على القرن الماضى فقط، ولكن نجد أنه بعد قيام حكومة الثورة، خصصت جزءا من الجيش المصرى أطلق عليه أسم الكتائب الوطنية، التى تضم بين صفوفها الجنود غير الصالحين

للخدمة العسكرية ، وذلك للمساهمة فى الأعمال الزراعية فى مديرية التحرير ، وفى الواقع كان لهؤلاء الجنود دورا بارزا فى هذا المجال . ولكن على الرغم من ذلك ، الا أن هذا المشروع لم يستمر طويلا ، بل أنه توقف بسبب اندلاع حرب عام ١٩٦٧ ، وظل هكذا فى طى النسيان . ولا أعرف لماذا توقف هذا المشروع الحيوى ، التى كانت مصر فى مسيس الحاجة اليه ، واعتقد أنه لوظل هذا المشروع فى حيز الوجود لأمكنه أن يلعب دورا هاما فى تدعيم اقتصاد مصر .

ولكن لم يمض وقت طويل ، الا وخرج هذا المشروع الى حيز الوجود مرة ثانية ، وبخاصة بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . فقد قررت الحكومة المصرية ضرورة أن تساهم القوات المسلحة فى تجديد شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية فى القاهرة والجيزة والاسكندرية ، على شرط أن يقوم بهذا العمل جنود وضباط سلاح المهندسين . ومما لاشك فيه أن هذا العمل كان له ايجابيات ملموسة الى حدما ، ولكن من المؤكد أنه لو استمرت هذه المساهمة من جانب أفراد الجيش المصرى فى انجاز هذه المشروعات الأقتصادية ، فأن ذلك سوف يعود بالنفع والخير الوفير لمصر ولشعبها .

ولكن لنا أن نتساءل بالقول ، لماذا ينجح أفراد القوات المسلحة فى انجاز مثل هذه الأعمال المدنية والجواب على ذلك أن رجال القوات المسلحة يخضعون لقانون صارم وحازم ، بحيث أنه يحتم على كل فرد من أفراد القوات المسلحة المصرية تنفيذ كل ما يوكل اليه من عمل دون تأخير أو إبطاء ، ولو فرض وأهمل أى فرد فى أى عمل أوكل اليه ، فأنه فى هذه الحالة يوقع عليه عقابا فوريا .

ومن هنا نجد أن الأمور العسكرية تسير سيرا حسنا . وعلى هذا يمكن لأفراد القوات المسلحة القيام بإنشاء المدن المتكاملة والمطارات وأصلاح الأراضى ، واقامة المصانع وغيرها من المشاريع المدنية والعسكرية ، فكلما زاد الإعتماد على الجيش فى المشروعات الأقتصادية المدنية فى الدولة ، كلما أنجزت هذه المشروعات على وجه السرعة دون تأخير أو أبطاء حتى لا تفقد هذه المشاريع أهميتها .

و أود أن يخصص جزء من جيشنا الوطنى للمساهمة فى إكمال المشروعات المتوقف العمل فيها من مدة طويلة ، والتى تعمل بها شركات مدنية كبيرة ، وربما يرجع سبب تأخير هذه الشركات فى انجاز ما أوكل اليها ، الى أنها تقوم فى وقت

واحد بالبدء فى عدة مشروعات ، وهذا يترتب عليه تبديد جهودها ، ومن ناحية أخرى فأن هذا لايتمش مع مقدرتها المالية وربما الفنية . وهناك عوامل معوقة أخرى لايمكن أدراكها ، ولكن لايدركها الاأصحاب هذه الشركات .

ومن هنا يمكن القول بأن الجيش المصرى يمكنه المساهمة فى حل الأزمة الأقتصادية المصرية على شرط الايكون هذا على حساب الجانب العسكرى ، لأننا فى حاجة الى أن تظل قواتنا المسلحة محتفظة بتفوقها العسكرى ، لما لها من دور استراتيجى فى هذه المنطقة ، ولكن يجب أن نخصص جزء فقط من هذا الجيش وبخاصة من الأفراد الذين لايصلحون للخدمة العسكرية للقيام بمثل هذه المشروعات الإقتصادية . ويمكن أن يطلق عليها اسم كتائب الخدمة الوطنية ، ولاننسى أن هذه الكتائب لعبت دورا هاما فى مديرية التحرير ، ولكن بعد أن تركتها هذه الكتائب عبثت بها أيدى العابثن .

دكتور السيد يوسف نصر

مقدمة

يقصد بالجيش مجموعة الأفراد المسلحين والمدربين تدريبا عسكريا جيدا بهدف الدفاع عن الدولة . و يطلق هذا التعريف العام على جميع الأفراد الذين يحترفون مهنة الجندية و يتخذون منها عملا مستديما . وقد تطورت نظم الجيش وأسلحته المختلفة من عصر الى آخر ، ففى عصرنا الحديث زود أفراد الجيش بأحدث أنواع الأسلحة بما فى ذلك الطائرات المختلفة والصواريخ وغيرها من وسائل التسليح الحديثة . وقد اتبعت هذه الأنظمة العسكرية فى كل عصور التاريخ المختلفة ، وأن كانت قد اختلفت فى نظام تسليحها من دولة الى أخرى . وقد اخذت مصر فى عصر الفراعنة بهذا النظام .

وكان لمصر فى عصر الدولة القديمة (التى حكمت فى الفترة مابين ٢٧٨٠ ، ٢٢٨٠ ق . م) جيشا نظاميا جند أفراده من المصريين ، فضلا عن وجود عدد من الجنود المرتزقه من النوبيين والليبيين وكان على رأس الجميع قائدا عاما يعاونه ضباط الجيش ، ولم يكن هذا الجيش إقطاعيا أى مؤلفا من جماعات من المقاتلين يقود كل منها سيد الأقطاع بل كان هذا الجيش مؤلفا من وحدات حربية تحت قيادة ضباط محترفين تفرغوا للأعمال الحربية دون سواها من الأعمال المدنية الأخرى . وقد تميز الجيش المصرى فى هذا العصر بحسن الإنتظام و يؤيد ذلك الرسوم التى عثر عليها فى معبد « ساحورع » والتى توضح لنا أن الخدمة العسكرية فى عصر الدولة القديمة كانت إجبارية ، فكان يجند من كل مقاطعة من مقاطعات البلاد عدد من الجنود الذين يقومون بالعمل فى المحاجر أو فى خوض المعارك الحربية ، أو فى حماية الحدود الجنوبية ، ولم تكن الخدمة فى هذا الوقت وراثية ، ومع ذلك فأن معظم الرجال الذين أدوا الخدمة العسكرية الحقوا أولادهم بها . فقد كان المجند يؤخذ وهو صغير السن الى الثكنات حيث يتعلم كيفية الرمى بالقوس واستخدام البلطة والرمح والدرع ، هذا فضلا عن ممارسة التدريبات الرياضية بمافى ذلك القفز والمصارعة والملاكمة . ويمكن أن نطلق على هذا النظام تطوع فى

الخدمة العسكرية (١)، وقد قاد قواد من الأسرة السادسة الحملات العسكرية ليس فقط الى الجنوب ولكن أيضا على طول البحر الأحمر حتى بلاد بونت بل والى بلاد فلسطين، و يتضح ذلك من كلام أونى الذى أسند اليه مهمة اعداد جيش يبلغ عدد رجاله عشرات الالآف من جميع بلاد الوجه القبلى ابتداء من الفنتين فى الجنوب وحتى إطفيح فى الشمال، وكذلك من أفراد القبائل التى كانت تعيش فى ذلك الوقت فى بلاد النوبة مثل أرتت وإيام و واوات والمجا وغيرها وقد أسندت أمرة هذا الجيش الكبير الى هذا القائد الشاب الذى تمكن من العمل على استتباب الأمن بين الجنود والدليل على ذلك عدم تعرض أى واحد منهم لأى شخص فى أى بلد من البلاد التى مروا من خلالها كما ولم يغتصب أحد منهم شيئا مهما كانت قيمته. وكانت حملات أونى هذا على فلسطين هى آخر أعماله الهامة فى عهدبيبى الأول (٢) ومن بعد أونى قام القائد حرخوف بعدة حملات صوب الجنوب ففى عهد الملك مرنرع Merenre قاد حرخوف أربع حملات الى بلاد ايام Iam كى يجمع أبنائها ليجندهم فى الجيش وفى الوقت نفسه قام بمقايضة ما معه من سلع تجارية بسلع هذه البلاد (٣) وقد سجل حرخوف أخبار هذه الحملات على المعابد والمقابر.

وأما عن نظام الجيش فى عصر الدولة الوسطى التى حكمت فى الفترة مابين ٢١٣٤، ١٧٧٨ ق. م. كان يتمثل فى أن حكام المقاطعات كانوا يحتفظون بجيوشهم الأقطاعية، ومع ذلك فقد وجد هناك جيش ملكى يجند أفراده من أبناء الأمة وندلل على ذلك بوجود نصب تذكارى نقشت عليه بعض الكتابات التى ذكرت إنه فى العام الخامس والعشرين من حكم امنمحات الثالث انتدب أحد كتاب الجيش للسفر الى الجنوب لاختيار وجمع المجندين من مقاطعة أبيدوسر الجنوبية.

وبالنسبة لنظام الجيش فى عصر الدولة الحديثة التى حكمت (فى الفترة مابين ١٥٧٠، ١٣٢٠ ق. م) فأنه تطور فى تسليحه تطورا كبيرا بسبب دخول العربات

(١) دكتور/عبد الرحمن زكى: الجيش فى مصر القديمة. القاهرة، ١٩٦٧ ص ص ٢٠، ٢٢.

(٢) دكتور/أحمد فخرى: مصر الفرعونية. القاهرة، ١٩٦٠ ص ١٥١.

٣. Bruce Trigger: Nubia, under the pharaophs. Great Britain, 1976.

الحربية فى الجيش حيث أصبحت تصنع فى مصر مع أن المواد اللازمة لصناعتها كانت تجلب من الخارج ، هذا فضلا عن تربية الخيول فى ضياع معابد الألهة (٤) ، وأيضا فى عصر هذه الدولة الحديثة أصبح لمصر جيش وطنى لم نراه فى عصر الدولة الوسطى وسبب ذلك يرجع الى الحرب التى خاضها هذا الجيش ضد الهكسوس . وأما عن تنظيم الجيش فى هذه الفترة فكان مقسما الى مجموعات تضم كل مجموعة خمسة آلاف رجل من المشاة . وكان الفرعون يمثل القائد الأعلى للجيش و يعاونه وزير الحربية ومجلس عسكرى آخر.

وأما عن أسلحة الجيش المصرى فى العصر الفرعونى بصفة عامة فكانت تتمثل فى الأقواس والسهام والبلط والدبابيس والحراب والسيوف وفيما بعد أدخلت العربات الحربية التى تجرها الخيول ، . (٥) لهذا لعب الجيش دورا بارزا فى حماية حدود مصر الشرقيه والجنوبية والغربية كما كان يقوم بالقضاء على أى تمرد من شأنه تهديد أمن مصر.

وأما عن حالة الجيش المصرى فى عصر البطالمه الذين حكموا البلاد من ٣٢٢ الى ٣٠ ق . م فيمكن القول أنه عندما مات الإسكندر الأكبر لم تقسم الأمبراطورية بين قواده فحسب بل قسم جيشه الذى كان يتكون من ثلاث مجموعات أولها الفرق المقدونية التى كانت تحت رئاسة انتياتروس والتى كانت تتمركز فى بلاد الأغريق ، وثانيها الجيش الذى اضطلع بعبء الحملة فى الشرق وثالثها حاميات الولايات التى تتمركز فى كل ولاية من ولايات الأمبراطورية . وعندما قسم هذا الجيش بين قواده احتفظ انتياتروس بالقوات التى كانت تحت قيادته وأخذ برديكاس فيما يبدو جيش الحملة وآل الى كل واحد من القواد الآخرين الولاية التى صارت من نصيبه بجيشها .

ولا نعرف على وجه اليقين عدد جيش ولاية مصر ولا كيفية تكوينه عندما تولى بطليموس حكم مصر عام ٣٢٢ ق . م وقد اعتمد البطالمه الأوائل فى تشكيل

---

(٤) وولتر إمرى ، ترجمة تحفة حندوسه مراجعة د . عبدالمنعم أبوبكر: مصر وبلاد النوبه ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ص ص ١٨٣ ، ١٨٧ .

(٥) وولترامرى ، ترجمة تحفة حندوسه مراجعة د. عبدالمنعم ابوبكر: نفس المصدر ص . ص: ١٨٣ ، ١٨٧ .

جيشهم على المقدونيين والأغريق الذين تطوع بعضهم فى خدمة البطالمه أملا فى الفوز بالمنح والأمتيازات . ومن ناحية أخرى كان البطالمه لا يستطيعون الاعتماد على المصريين ، اما لارتيابهم فى مقدرتهم الحربية وأما لعدم إخلاصهم ولكن على الرغم من ذلك فقد خشى ملوك البطالمه اغفال أمر الجنود المصريين بالكلية حتى لاينشر أوليك الجنود روح التذمر فى البلاد فيثور المصريون فى وقت كان البطالمه فى أشد الحاجه الى الهدؤ والسكينة . وعلى ذلك تشير الدلائل على أن البطالمه استعانوا بالجنود المصريين وبخاصة فى موقعة غزه عام ٣١٢ ق . م ففى هذه المعركة ضم جيش بطليموس عددا كبيرا من المصريين بحيث كان بعضهم يقوم بأعمال النقل و يقوم البعض الآخر بتأدية دوره فى القتال . وفيما بعد أدمج المصريون فى صفوف الجيش على عهد فيلوباتور وألفوا فرقا مستقلة بهم واستمروا يكونون جزءا مستقلا من الجيش حتى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد بل وحتى فيما يبدو الى نهاية أسرة البطالمه . (٦)

ومن بعد البطالمه حكم الرومان مصر فى الفترة مابين ٢٩ ق . م وحتى ٦٣٨ م وأتوا اليها بحاميات رومانية ترابط على أرضها وذلك لحفظ الأمن والنظام والقضاء على التمرد والدفاع عن حدودها الجنوبية من هجمات القبائل البربرية ولم يشترك المصريون فى قواتها المسلحة الا عند الضرورة القصوى وبخاصة فى حروبها الخارجية . (٧)

ومن بعد الرومان خضعت مصر للسيادة العربية فى الفترة مابين ٦٣٩ ، ٦٤٠ م ، وعلى أثر الفتح وضع الخليفة حامية عربية على أرضها لحفظ الأمن فى ربوع البلاد فضلا عن صد أى هجوم خارجى وقد حرم الخليفة عمر بن الخطاب على جنود هذه الحامية ممارسة أى عمل آخر بخلاف الأعمال العسكرية وقد اشترط الخليفة على المصريين ضيافة الجنود ، فمن نزل عليه جندى واحد أو أكثر وجبت

---

(٦) دكتور/ ابراهيم نصحى : دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمه ، القاهرة ١٩٥٩ ص ص ٩٧ — ١٠٠ .

(7) After Rameses II's death, the country seems to have fallen into a decline for anumber ofyears. Order was restored by Rameses III, the Last great king of the New kingdom, but after he had beaten off attacks by the libyans and the so called peoples of the sea and had, like his predecessors, devoted himself to

عليه ضيافته ثلاثة أيام . وقد وفر هذا على الجند الكثير من العناء عند انتقالهم من جهة الى جهة أخرى فى أنحاء مصر (٨)

= building, there were no more triumphs. Under his successors, all called Rameses, the Asiatic empire was lost, the royal tombs were plundered and the centre of power moved from thebes to the Delta.

As her enemies grew stronger, Egypt became ever weaker and more divided, until in 671 Bc, the country was invaded by the Assyrians who occupied Memphis and advanced to thebes itself.

Later, in 525 Bc the persian king, Cambyses, Conquered the whole country, and Egypt became a province of the persian Empire, until Alexander the Great placed it under Greek rule.

When Alexander died, Egypt fell to one of his generals named ptolemy, who became founder of a new line of kings known as the ptolemies.

Under them, Egypt again became rich and powerful, especially at sea In 31 Bc the Roman emperor Octavian defeated Mark Antony and Cleopatra, and the rule of the ptolemies came to an end. Egypt became a province of the great Roman Empire.

Egypt and Mesopotamia, By R. J. unstead. Adam and Charles Black, London 1977. P.19.

(٨) دكتور/عبد الرحمن زكى : الجيش المصرى فى العصر الأسلامى من الفتح العربى الى معركة المنصورة . القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ص٥ .

وقد احتكر العرب الخدمة فى الجيش لأنفسهم وحرموها على المصريين بأستثناء قيامهم ببعض الأعمال الثانوية ، واهتموا كذلك بالأسطول الذى بلغ عدد سفنه ٢٠٠ سفينة . وقد هزم هذا الأسطول الرومان فى موقعة ذات الصوارى التى تعتبر من المواقع الهامة منذ موقعة اكتيوم البحرية عام ٣١ ق . م . وبلغ من اهتمام العرب بالأسطول أن شيدوا له دار لصناعة السفن فى الروضه والقلزم والإسكندريه ودمياط .

وأما عن نظام الجيش المصرى فى عهد الطولونيون فأنه كان عبارة عن خليط من فرق عديدة من العثمانيين والسود الذين بلغ عددهم ١٠٠٠ جندى وكانوا يرتدون كذلك زيا أسودا و يتسلحون بالسيوف وفى عهد خمارويه تكونت فرق جديدة من جيشه من الجيل الجديد الذى نشأ من تزاوج العرب بالمصريين ، وكان هؤلاء الجنود يتميزون بالشجاعة وشدة البأس ، وسمى أفراد هذه الفرقة بالفرقة المختاره وعلى عهده بلغت تكاليف الجيش ٩٠٠,٠٠٠ دينار ، وأما عن الأسطول فكان موضع اهتمام الطولونيين وذلك لحماية شواطئ مصر والشام فضلا عن الاحتفاظ بأستقلالهم فى وجه الخلافة العباسية و بلغ عدد سفن الأسطول الطولونى ١٠٠ سفينه . وفى عام ٩٠٤ هاجم هذا الأسطول جزيرة سالونيك (٩) ومما لاشك فيه فأننا لانعرف على وجه التحديد أن هذا الأسطول كان يضم بين صفوفه أفراد من المصريين أم لا .

وفى عهد الأخشيديين بلغ عدد جيشهم ٤٠٠,٠٠٠ مقاتل كانوا عبارة عن خليط من الأتراك والسودانيين فضلا عن المماليك الذين ينتمون الى جنسيات

---

(٩) عبدالرحمن الرافعى ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى العصور الوسطى . القاهرة ١٩٧٠ ص ص ٧٠ — ٧٣ .

مختلفة واهتم الأخشيديون كذلك بالإسطول الذى شيدت سفنه فى دار صناعة الروضة وفى الفسطاط .

وفى عصر الفاطميين تكون الجيش المصرى من عدة عناصر مختلفة منها المغاربة والعثمانيين والسودانيين وكان يترأس هؤلاء الجنود الأمراء و « الضباط » واهتم الفاطميون كذلك بالأسطول الذى بلغ عدد سفنه فى عصرهم ٦٠٠ سفينة و بلغ عدد أفراده ، ٥٠٠٠ جندى ، وكانت الدولة تصرف لهم رواتب شهرية .

ومن بعدهم جاء الى حكم مصر الأيوبيين الذين اهتموا كذلك بالجيش الذى تكون من عناصر مختلفة من التركمان والأكراد والعرب وكان هؤلاء جميعا بمثابة جند غير نظاميين يعملون فى مقابل ما يتقاضونه من أجور وقد عمم صلاح الدين نظام الأقطاع الحربى بمعنى أن يقوم أمراء الأجناد بما يوزع عليهم من أقطاعات بالإنفاق على كتائبهم التى تدخل ضمن الجيش العام زمن الحرب . وفى عام ١١٨١م بلغ عدد الجيش المصرى و بخاصة فى عهد صلاح الدين ٨٢٤٠ فارسا ، ١١١ أمير ، ٦٩٧٦ جندى ، و بلغت تكاليف هذا الجيش ٣٫٦٧٠٫٦٠٠ دينار ، ولكن انخفض عدد هذا الجيش بعد صلح الرملة الذى وقع بين المصريين والصليبيين عام ١١٩١م . وكان الجيش الأيوبى ينقسم الى جماعات تتكون كل جماعه من ٧٠ الى ٢٠٠ شخص ، وكان على رأس كل جماعة أمير ، وفى زمن الحرب كانت الأسلحة والنفقات توزع على الجند على أن يحضر كل جندى مايلزمه من كميات المؤن . وأما عن الأسطول فى عهد الدولة الأيوبية فكان فى حالة سيئة بسبب فقدان مصر لجزيرتى قبرص وكريت اللتين كانتا بمثابة القواعد الأمامية للأسطول فى شرق البحر المتوسط ، ونظرا لهذه الأهمية فقد خصص صلاح الدين الأيوبى موردا هاما للإنفاق منه على الأسطول تمثل هذا المورد فى دخل اقليم الفيوم وإيراد ديوان الزكاة فضلا عن حصيلة النطرون . هذا فضلا عن الأنفاق على دور الصناعة فى كل من القاهرة والأسكندرية ودمياط . وفى عام ١١٧٩م أصبح

الأسطول المصرى قوة ضاربة قوامها ٨٠ قطعة (١٠) منها ستون من الشوانى، ولكن بعد وفاة صلاح الدين أهمل شأن هذا الأسطول.

ولما تولى المماليك حكم مصر كان نظامهم الحربى قائم على الأقطاع الحربى، فعندما يبلغ المملوك سن الرشد يشرع فى تعليمه فنون الحرب الممثلة فى الرمى بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل، بعد ذلك ينتقل هذا المملوك الى الخدمة بحيث يتدرج فى رتبها من جندى الى أمير و يتراوح اقطاع الجندى مابين ٣، ٥، ٧، ١٠ دينار فى الشهر، بينما يتراوح إقطاع الضابط فيما بين زمام قرية وقرية ونصف، و يصل اقطاع الامير مابين قرية وعشرة قرى. ولقد أدخل المماليك بعض الأنظمة الخاصة بالجيش منها «ديوان الأنشاء» وهو الذى يمنح الجندى ورقة تحدد حدود إقطاعه وسمي هذا الديوان بعد ذلك «بديوان الأقطاع» كما

---

(١٠) الشوانى كانت أكثر السفن استعمالا فى الأساطيل الأسلامية وكانت تزود بمائة مجداف، فهى سفن حربية كبيرة ذات أبراج وقلاع تستعمل للدفاع والهجوم وتجهز أيام الحرب بالسلاح والمقاتلين وتحمل من الجنود ١٥٠ مقاتلا. هذا فضلا عن السفن الأخرى وهى: —

أ — الحراريق ومفردها حراقة وتقل فى حجمها عن الشوانى وتسمى بالحراريق لأن النيران تلقى منها على سفن العدو مثل النيران الأغريقية.

ب — الطراد عبارة عن سفينة صغيرة سريعة تستخدم عادة فى حمل الخيول التى يتراوح عددها فيما بين ٤٠، ٨٠ حصانا.

ج — الأغربة (مفرد غراب) وسميت بذلك لأن مقدمتها تشبه رأس الغراب، و يستخدم فيها ١٨٠ مجدافا، كما تزود بجسر يلقى على سفن العدو عندئذ يمر الجنود من فوقه ليقاتلو جنود العدو بالأساليب البرية.

د — البطس ومفردها بطسة وهى سفن كبيرة الحجم تسير الواحدة بعدد من الأشرعة وهى أشبه بالناقلات الضخمة وتحمل ٧٠٠ جندى فضلا عن الأسلحة والذخيرة والغلال والميرة ولها أسطح عالية وطبقات متعددة.

هـ — المسطحات ومفردها مسطح وهى نوع من أكبر سفن الأسطول الأسلامى وسميت كذلك لأنها مسطحة وتستخدم فى المياه الضحلة بحيث تسير خلف السفن الأخرى.

راجع كتاب مصر فى العصور الوسطى للأستاذ عبدالرحمن الرافعى، د. سعيد عبدالفتاح عاشور القاهرة، ١٩٧٠ ص ص ٥٦٦ — ٥٦٧.

أنشئ ديوان للجيش ، كان مسئولا عن التجنيد ، هذا فضلا عن ديوان مستوفى الجيش ، وهو الذى يقوم بتحديد مرتبات الجند ، وديوان مستوفى الرزق و يقوم بصرف المرتبات للجند . وتكون الجيش فى عهد المماليك من ثلاثة فرق أساسية تمثل الأولى طائفة المماليك السلطانية أى مماليك السلطان الموجود فى الحكم ، ويمثلون أعظم الجند ، وتضم الفرقة الثانية مماليك الأمراء أى المماليك الذين اشتراهم الأمراء المحيطون بالسلطان .

وأما الفرقة الثالثة فتمثل طائفة أجناد الحلقة وهم الذين يمثلون مماليك السلاطين والأمراء السابقين وأولادهم الذين احترفوا الجندية وأصبحوا بمثابة جيش ثابت للدولة . وكان كل أمير له الحق فى امتلاك ١٠٠ مملوك وله الحق فى قيادة ١٠٠٠ مملوك زمن الحرب ، وكان للجيش مجلس يقوم السلطان برئاسته يعرف بأسم « مجلس الجيش » و يضم كبار الأمراء (الضباط) والخليفة والقضاة الأربعة الكبار . وأما عن الأسطول فى عصر المماليك فقد عنى به عناية كبيرة حيث قام الظاهر بيبرس بمنع الناس من التصرف فى الأخشاب وذلك لإستخدامها فى بناء الشوانى فى دار صناعة الأسكندرية ودمياط ، و بلغ عدد الأسطول فى عهد الظاهر بيبرس ٤٠ قطعة من الشوانى ، فضلا عن الحراريق والطرادات وقد لعب الأسطول المصرى فى عهد المماليك دورا بارزا فطهر بلاد الشام من بقايا الصليبيين . وفى أواخر عصر المماليك ظهر خطر البرتغاليين الذين تمكنوا من الدوران حول افريقيا وهددوا البلاد الإسلامية فى جنوب آسيا ، بل وحطم أسطولهم أسطول المماليك فى موقعة ديو البحرية عام ١٥٠٩ م .

و يتضح مما سبق أن المصريين كانوا يمثلون عنصرا هاما فى الجيش المصرى فى عهد الفراعنة ، ومع ذلك فقد وجد الى جانبهم عناصر أخرى سواء أكانت من الليبيين أم من النوبيين ، وكانوا بمثابة الجيش النظامى للدولة أو بمعنى آخر فأنهم كانوا يمثلون القوة الضاربة للدولة ، وكان الفرعون المصرى يمثل القائد الأعلى لهذه القوات .

و بينما نلاحظ فى العصور التالية أن المصريين كانوا لايمثلون القوة الرئيسية فى الجيش المصرى بل كانوا كما مهملا ، وكان لايستعان بهم الا فى حالات الضرورة القصوى و بخاصة فى العصر اليونانى الرومانى ، وكذلك فى العصر الأسلامى

والطولونى والأخشيدى والفاطمى والأيوبى والمملوكى والعثمانى . وقد استمر هذا الوضع حتى نهاية القرن الثامن عشر والعشر ينيات من القرن التاسع عشر ونرى أن السبب فى إبعاد المصر يين عن الجيش يرجع الى خضوع مصر الى الحكم الخارجى وخوفه من انقضاض المصر يين عليه . .

وقد تميزت هذه الفترة (نهاية القرن الثامن عشر والعشر ينيات من القرن التاسع عشر بكثرة الأضطرابات وعدم الإستقرار لأسباب عدة منها التنافس على السلطة فكان المماليك يعتبرون أنفسهم الحكام الشرعيين للبلاد ومن ناحية أخرى كان العثمانيون يعتبرون أنفسهم أصحاب الحق الشرعى فى حكم هذه البلاد مع أن سلطتهم على مصر فى نهاية القرن الثامن عشر لم تكن ذات فاعلية بينما كانت السلطة الفعلية فى أيدى المماليك ، ومن هنا بدأ الصراع على هذه السلطة فيما بينهم فأنحطت البلاد فى كافة النواحى الأدار ية والزراعية والصناعية والتجار ية والثقافية وكاد مصباح العلم ينطفئ لولا شعاع ضئيل كان ينبعث من الأزهر .

وقد زاد هذا الشعاع عندما قدم نابليون الى مصر عام ١٧٩٨م فقد جاءت معه بعثة علمية مكونة من طائفة ممتازة من العلماء الذين عكفوا على دراسة مصر وأخذوا فى نشر أسباب المدنية بها ، فقد أقاموا بالقاهرة مدرستين لتعليم ابنائهم المولودين بمصر كما أنشأوا جر يدتين فرنسيتين ومسرحا للتمثيل وشيدوا أماكن للأرصاد الفلكية والر ياضية وللنقش والرسم فى حارة الناصر ية وقاموا بترميم بعض بيوت الأمراء بحيث جعلوا إحداها مكتبة للمطالعة يرتادها المصر يون والفرنسيون على السواء . وقام الفرنسيون كذلك بأجراء بعض التجارب التى أدهشت المصر يين . و بعد خروج الفرنسيين من مصر اضطر بت أحوال البلاد فتمكن محمد على من استغلال الموقف وتولى زمام الأمور فى البلاد عام ١٨٠٥ م (١١) .

وعندما تولى محمد على حكم مصر عام ١٨٠٥ م ، لم يكن لمصر جيش بالمعنى الصحيح ، بل أن جيشها كان عبارة عن مز يج من العثمانيين والألبانيين والمغاربة والدلاة ، ومن وقت لآخر كانت هذه العناصر تميل الى التمرد

---

(١١) دكتور/احمد احمد بدوى : رفاعه رافع الطهطاوى ، الطبعه الثانيه . القاهرة ١٩٥٩ ص ٦

والعصيان ، ودليلنا على ذلك أنه عندما تأخر محمد على مرة عن صرف مرتباتهم ، اصطفوا أمام قصره وأطلقوا النيران من أسلحتهم مما أدى الى انتشار الفوضى والإضطرابات فى انحاء القاهرة ، مما اضطر الوالى أن يعقد العزم على التخلص منهم وذلك بأرسالهم لخوض المعارك الخارجية حينما تتاح الفرصة لذلك حتى يستريح من شغبهم . وكان من الحروب التى خاضوها مطاردتهم للمماليك فى صعيد مصر ، ومحاربتهم للحملة البريطانية التى أرسلت الى مصر عام ١٨٠٧ واشتراكهم فى الحرب ضد الوهابيين فى الفترة مابين ١٨١١ ، ١٨١٩م(١٢) .

وسوف نرى أنه بعد أن تخلص منهم فأنه سوف يقرر تكوين جيش وطنى يستطيع بواسطته تحقيق آماله العريضة ، الممثلة فى المشروعات الأقتصادية وتأمين مركزه والعمل على توطيد هذا المركز حتى يظهر أمام الباب العالى قوى مهاب الجانب ، كما كان فى استطاعته أيضا بفضل هذه القوة العسكرية الجديدة أن يفرض سيطرته على الكثير من البلاد فى آسيا وافريقيا . (١٣)

وسوف نرى أيضا أنه عندما يكتمل بناء هذا الجيش (ولا مجال هنا للحديث عن الخطوات التى اتخذت فى هذا الصدد) فأنه سوف يساهم بدون أدنى شك فى العديد من الأعمال الحضارية التى منها ماهوفى مجال المعارك الحربية العديدة ومنها ما هوفى مجال الكشوف الجغرافية والعمارة والمواصلات والخدمات الأخرى .

وسوف لايقتصر هذا الدور الحضارى على مصر وحدها ، والتى لامجال هنا للحديث عن دور الجيش المصرى فيها بل نقصر حديثنا على دوره فى آسيا وافريقيا وبلاد اليونان فضلا عن أن هذا الدور كان يختلف فى أهميته من مكان لآخر . وسوف أتناول بالشرح هذه الجوانب الحضارية كل على حدة .

(١٢) د . محمد محمود السروجى : الجيش المصرى فى القرن ١٩ . ص ص ١٥ — ١٦ .

(١٣) د . محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على . ص ١٤٨ .

يقصد بهذا الدور المعارك التى خاضها الجيش المصرى فى خلال القرن التاسع عشر فى آسيا (الجزيرة العربية والشام) و بلاد اليونان . فمن المعروف لدينا أن السلطان العثمانى كان قد طلب من محمد على فى أعوام ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ ، ١٨٠٩ ، ١٨١٠ ، إرسال قواته لمحاربة الوهابيين ولكن لم يجبه محمد على الى مطلبه لأنه كان مشغولا فى مطاردة خصومه من المماليك، ولكنه بعد أن تخلص من قادة المماليك فى مذبحة القلعة عام ١٨١١ ، وافق على مساعدة الدولة العثمانية فى هذه الحرب وذلك لتحقيق الأهداف التالية : أولها : أن خوضه لهذه الحرب سوف يرسخ حكمه فى مصر، بل و يرفع من شأنه و يوطد من مركزه بحيث لم تعد تركيا تفكر فى عزله أو تغييره ، كما لم يكن فى إمكانها معاملته كسائر الولاة التى كانت تتصرف معهم بالعزل والنقل لكنها ستتعامل مع محمد على معاملة الند للند .

وثانيا : أن محمد عليا رأى أنه فى حالة رفضه لمطلب الدولة العثمانية ، فأن السلطان فى هذه الحالة سيجد مبرر العزله وخاصة وأنه لم يكن قد استقر بعد فى السلطة . لهذا نجده ينتهز هذه الفرصه ولم يضيعها ، لأن خوضه لهذه الحرب سيحقق له كل تطلعاته السياسية والعسكرية وهذا ما حدث بالفعل . و بعد أن إقتنع بخوض هذه الحرب ، بدأ فى إرسال قواته الى شبه الجزيرة العربية . وقد أبلت هذه القوات بلاء اعظيا فى هذه الحرب رغم ما صادفته من صعوبات طبيعية تمثلت فى الجبال والوديان والدروب ، هذا الى جانب قسوة المناخ وصعوبة المواصلات ونقص الآمدادات ولكن على الرغم من كل هذه الصعاب ، الا أن هذا الجيش تغلب عليها بفضل القيادة الواعية والتخطيط الدقيق الذى قام به ابراهيم باشا بن محمد على ، وحقق بذلك نصرا عظيا ، عجزت القوات العسكرية للدولة العثمانية عن تحقيقه ، كما وضعه هذا النصر بين صفوف جيوش العالم المتقدمة . ولا نبالغ إذا قلنا أن الجيش المصرى كان أعظم وأقوى جيشا فى آسيا وفى افريقيا و بخاصة فى خلال النصف الأول و بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر، بل ولايقل فى قوته العسكرية عن أحدث الجيوش الأوربية . و بعد أن حقق الجيش المصرى الإنتصار على الوهابيين كافأ السلطان العثمانى محمد

على ، على نجاحه فى هذه المهمة ، وذلك باسناد مشيخة الحرم المكى و ولاية جده الى ابنه ابراهيم ، فاتسعت بذلك مساحة مصر .

و بعد ذلك ضمت اليها بلاد جديدة ، مثل الحجاز ونجد والعسير وجزء من اليمن ، بل ووصل نفوذها الى شاطئ الخليج العربى . لذلك فقد استمرت مصر تحكم شبه الجزيرة العربية حتى عام ١٨٤٠ م (١٤) . وقد ساهم الجيش المصرى أثناء فترة تواجده فى الجزيرة العربية بتمهيد الطرق وإقامة الثكنات والمستودعات الخاصة به ، والتى لم يكن لها وجود من قبل ، بل وتعتبر من أبرز أدواره فى غرب آسيا (١٥)

ولم تقتصر مساعدة محمد على الى السلطان العثمانى عند هذا الحد ، بل نجد أن السلطان يطلب منه المساعدة فى الحرب ضد المتمردين فى بلاد اليونان ، وكان ذلك فى عام ١٨٢١ م ، أى بعد عام واحد من الإنتهاء من الحروب الوهابية وقد وافق محمد على ، على هذا المطلب . وربما يرجع السبب فى ذلك الى رغبته فى عدم إغضاب الباب العالى ، فعلى الفور أصدر تعليماته الى محرم بك محافظ الإسكندرية ، وقائد الأسطول المصرى فى ذلك الوقت أن يعد السفن اللازمة لهذه الحرب و يشحنها بالذخيرة والمؤن والرجال ، ثم يتوجه بها بعد ذلك الى مياه اليونان لمحاربة المرتدين هناك (١٦) .

وقد أبلى الأسطول المصرى تحت قيادة ابراهيم باشا بلاء احسنا وحقق انتصارات ساحقة رفعت من شأن الأسطول المصرى و وضعته بين صفوف البحرية العالمية فكان قد هزم الحرقات اليونانية كما هزم سفن أوروبا التى انضمت الى

١٤ــ عبد الرحمن الرافعى : مصر فى عصر محمد على . القاهرة عام ١٩٥١م ص ص ١٢٤ ــ ١٢٦ .

١٥ــ انظر كتاب الوجود المصرى فى افريقيا فى القرن ١٩ . الفصل الاول للمؤلف .

١٦ــ عمر طوسون : صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على ، الجيش المصرى البرى والبحرى . ص ص ٦٩ ــ ٧١ .

السـفـن الـيـونـانية . وبهذه المساعدة رجحت كفة الدولة العثمانية بعد أن أصيبت جيوشها بالهزيمة والفشل . (١٧)

ولم يقف دور الجيش المصرى عند هذا الحد ، بل نجده يبدأ فى عام ١٨٣١ م فى خـوض الحـرب الـسـور يـة (المعروفه بحروب الشام) وكان الهدف منها رغبة محمد على بـاشـا فى الاسـتـيلاء على سور يا ، وذلك لتأمين حدود مصر الشرقية ، و يتضح ذلـك مما كتبه المسيو روفتى قنصل فرنسا فى مصر فى رسالته الى حكومته عام ١٨١١ والـتـى يـقـول فيها « أن محـمـدا عـليا يطمع فى ولاية سور يا ، فقد قال لى يوما أنه لايـسـتـبـعـد أن ينالها مقابل دفع مبلغ من المال يقدر بسبعة أو ثمانية ملايين قرش لخز ينـة الـسـلـطـان الـعثمانى ، فضلا عن ذلك فأنه كان يرغب فى موارد سور يا و بـخـاصـة مـن الأخـشـاب والـفـحم والنحاس ، تلك الموارد التى كانت مصر فى حاجة ماسه اليها . (١٨) .

---

(17) The last battle under sail was fought on 20th October, 1827 in the bay of Navarino, Often called Navarin. In this same wide bay on the southern tip of the Greek coast, an Athenian fleet had forced the Spartand to surrender during the peloponnesian war in 425 Bc. The place is only a hundred miles or so south of Lepanto, the site of the last battle between galleys, and the enemy in 1827, as in 1571, was the ottoman fleet, assisted by squadroms from the vassal provinces of Egypt and Tunis.

On October 17th, the allied fleet was finally united by the arrival of ther Russian squadron, with Heiden in the Azov as his flagship. The same day there arrived yet more news of another massacre on the mainland. Codrington therefore sent the Dartmouth frigate into the bay with a protest signed by all the admirals. But Ibrahim had left for the interior and no contact could be made with him. He did not return until the day after the battle in which his fleet was destroyed.

Sea Power had achieved what Ibrahim's success on land could not win. When, ten years later, he and his father tried to destroy the remants of the Ottoman empire in the interests of Egyptian independence, they were checked once more by sea power at Acre, But on that occasion it was sea power in the form of steamships. The battle of Navarino marked the end of the era of sea fights under sail.

Regard christo- pher. L: Sea Fights under sail London 1970. PP. 117, 120. 125;

18- philip Curtin and others: African History. pp. 238- 239.

و يدل انتصار الجيش المصرى فى هذه الحروب على مدى ماوصل اليه هذا الجيش من تقدم فى العلوم العسكر ية الحديثة ، ومن التدر يبات الشاقة التى مكنته من تحقيق هذا النصر ، الذى يعتبر فى حد ذاته عملا من الأعمال الحضار ية العظيمة ، فلو كان هذا الجيش جيشا بدائيا ، ماتمكن من تحقيق هذا النصر بل لمنى بالفشل الذر يع . ومن الواضح أن الجيش المصرى لم يساهم بصورة فعالة فى إقامة بعض المشار يع الأقتصادية فى أسيا و بلاد اليونان ، والسبب فى ذلك يرجع الى أنه ذهب الى هذه البلاد لنجدة السلطان العثمانى ، ثم يعود بعد ذلك الى ثكناته ، أى لم يكن هدفه الأستقرار الدائم فى أسيا ، بخلاف ما كان عليه الحال بعد ذلك فى افر يقيا . وعلى أية حال يمكن القول بأن دور الجيش المصرى فى أسيا كان دورا عسكر يا صرفا .

فأما عن أهمية هذه الحروب التى خاضها الجيش المصرى فى أسيا والشام وكر يت و بلاد اليونان ، ولامجال هنا لسرد أحداث هذه المعارك . فقد أكدت و بدون شك لوالى مصر أهمية بناء جيش حديث و بخاصة بعد أن خلصته هذه الحروب من عناصر جيشه القديم ، الذى كان أفراده يميلون الى التمرد والعصيان .

ومن المحتمل أن يكون محمد على قد فكر فى اعداد هذا الجيش منذ تولى السلطة فى البلاد ولكنه لم يكن فى إمكانه القيام بمثل هذا العمل ، الابعد أن يتخلص من بقايا قوات الحامية التركية . و بعد أن تخلص محمد على منها بالفعل بدأ يفكر بجدية فى بناء جيشه ، واختار أن يكون أفراده من أبناء افر يقيا عامة والسودان خاصة . ولكن ألم يحق لنا أن نطرح سؤالا نقول فيه ، لماذا أختار محمد على أن يكون أفراد جيشه من أبناء السودان ؟ الأجابة على هذا السؤال توضح لنا أن محمد على كان يعتبر السودان جزءا لايتجزأ عن مصر ، لهذا رأى أنه لامانع لديه من تجنيد أبنائه فى الجيش المصرى ، حيث أنهم أبناء اقليم واحد ، أى أبناء وادى النيل ، الذى ظل مدة طو يلة من الزمن يمثل وحدة سياسية واحدة ، ودليلنا على ذلك العلاقات الوطيدة التى كانت سائدة بين الشعبين والتى استمرت على مر العصور . ويمكننا أن نلقى الضوء على هذه العلاقات ، حتى يتعرف القارئ العر بى على طبيعتها وتطورها .

العلاقات المصرية السودانية

لا جدال فى أن السودان هام وحيوى بالنسبة لمصر ، والسبب فى ذلك يرجع الى أنه لازال يمثل الإمتداد الطبيعى والإستراتيجى للأخيرة ، فأمتلاك وادى النيل برمته يعتبر بمثابة حياة أو موت بالنسبة للاقليمين معا ، كما يعتبر فى الوقت نفسه القوة الرئيسية فى الشمال الشرقى من افريقيا . لهذا لم يتردد المصريون القدماء فى امر فتحه (١٩) . ومن الواضح أن اتصال مصر بالسودان لم يكن وليد القرن التاسع عشر بل يرجع هذا الإتصال الحضارى الى قدم التاريخ . وتشير الأدلة التاريخية الى أن الإتصال بين مصر وبلاد النوبه تأكد عن طريق العثور على بعض الجبانات التى توجد فى المنطقة الواقعة جنوب الشلال ، وبعد ذلك زاد عدد سكان النوبه بسبب تسرب عدد كبير من مصر من سكان ماقبل الأسرات منسحبين تحت ضغط الشماليين نتيجة لغزو القادمين من الفراعنة المصريين قبل عام ٣٤٠٠ ق . م ، ومنذ ذلك التاريخ فقد تسربت الى السودان عوامل الحضارة المصرية القديمة التى كانت قد قطعت شوطا كبيرا فى التقدم والرقى فى جميع مرافق الحياة فى الحكومة والعقيدة والعمارة والفنون (٢٠) . ومنذ هذا التاريخ استمر الجزء الشمالى من بلاد السودان ينهل من حضارة المصريين حتى تمصر تماما فى كل شئ ، ففى مجال الرى فيمكن القول بأن كل الأمراء المرافقين لموكب الجزية كانوا يرتدون الأزياء المصرية ، كما يلاحظ أيضا أن رجال البلاط والأتباع كانوا يلبسون أزياء مصرية هذا فضلا عن قيام الفنانين المصريين بدور كبير فى نشر الفنون ذات الطابع المصرى فى ربوع كوش ، فكثيرا ما وفد المصريون الى كوش فى مهام رسمية للإسهام فى إقامة المنشآت إلمعمارية العديدة ، وتذكر النصوص المسجلة على إحدى اللوحات التى عثر عليها فى كوه أن فنانى منف هم الذين أسهموا فى بناء معبد كوه ، كما أسهموا فى بناء وتجميل معبد آمون الشهير بجبل البركل . ولاشك فى أن هؤلاء الفنانيين المهرة قد ساعدوا فى خلق جيل من الفنانيين المحليين الذين أخذوا يشاركون فى تطوير الفنون المحلية .

وفى مجال انتشار العقيدة المصرية فى كوش فواضح من النقوش أنها انتشرت فى شمال بلاد السودان ومهدت هذه العقيدة لانتشار الحضارة المصرية فى هذه

(١٩) الباحث المطلع محزون : ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الإنجليزية . ص ٨٣

(٢٠) وولترامرى ، ترجمة تحفة حندوسة ، مراجعة د . عبد المنعم ابوبكر : المصدر السابق . ص ١٢٧ .

البلاد . وفى مجال الأدارة فقد وضع لبلاد السودان الشمالى نظاما إدار يا على غرار ما كان عليه الحال فى مصر ، فأصبحت البلاد بقسميها « واوات » « وكوش » تحت إشراف أحد كبار رجال الدولة المصر ية وكان هذا الشخص يلقب بنائب الملك فى البلاد الجنوبية وأصبح فيا بعد يلقب بنائب الملك فى كوش . (٢١)

وبعد ذلك توطدت العلاقات المصر ية السودانية عن طر يق إرسال حملة عسكر ية الى بلاد السودان فى عهد الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة ، وقد جاء ذكرها على حجر بالرموالذى أرجع الأثر يون تاريخه إلى حوالى عام ٢٩٠٠ ق . م وكان الهدف من هذه الحملة هوتأمين حدود مصر الجنوبية ، ونشر الأمن فى ربوع هذه البلاد وذلك بأنشاء الحصون التى من أهمها الحصن الذى بنى فى عهد تحتمس الأول لحماية القناة الصالحة للملاحة فى النيل ، و يقع بالقرب من الشلال الثالث وأما الحصن الثانى فقد شيد بعيدا عن سسيى و يعرف بأسم صوليب وقد شيده امنحتب الثالث وكان هذا الحصن الأخير على جانب من الأهمية لأنه يحمى مجرى النيل حتى انحناءة دنقله . (٢٢) . وقد استمرت العلاقة المصر ية السودانية فى الازدهار فى عصر الدولة الوسطى أى فى الفترة مابين ٢١٦٠ ، ١٥٨٠ ق . م . وفى عصر الدولة الجديدة أى فى الفترة مابين ١٥٨٠ ، ١١٥٠ ق . م . وفى عصر الأضمحلال المتأخر وكذلك فى العصر الفارسى واليونانى الذى اهتم فيه البطالمة بتجارة البحر الأحمر وذلك عن طر يق إنشاء المدن والمستودعات على الشاطئ العربى لهذا البحر ، والتى من أهمها مدينة هرؤ بوليس الواقعة عند الطرف الشمالى للبحيرات المرة وميوس هرموس الواقعة عند رأس أبو شعر ، وفيلوتيرا الواقعة عند سفاجه وليوكوس ليمن الواقعة عند القصير و برنيكى الواقعة فى مواجهة أسوان . هذا فضلا عن إنشاء عدد من المراكز الخاصة بصيد الفيلة فى بلاد النوبه والسودان ، والتى من أهمها بطوليميس ، وسوتيراس ليمن و بطوليميس ثيرون (٢٣) . ومن الملاحظ أن مصر فى العصور التاريخية القديمة لم تمد نفوذها بعيدا صوب

---

(٢١) دكتور/محمد ابراهيم بكر : المدخل الى تار يخ السودان القديم ص ٨٢

(٢٢) دكتور/عبد الرحمن زكى : الجيش فى مصر القديمه . القاهرة ، ١٩٦٧ .

(٢٣) دكتور/ابراهيم نصحى : المصدر السابق . ص ١٢٣ .

الجنوب لأن داخلية بلاد السودان لم تكن تشجع على الاستيطان فيها ، وذلك طبقا لما ذكره استرابون STROBO والذى جاء فيه مانصه « أن الجزء الأكبر من السودان كان غير صالحا للسكنى ، كما كان لايصلح أيضا للحياة فيه بأستثناء الأراضى التى يغمرها فيضان النيل » (٢٤)

ونظرا لهذه الأهمية التاريخية والعلاقات الوطيدة التى تربط مصر بالسودان عبر العصور ، جعلت محمد على يدركها بثاقب فكره ، وبعد نظره ، فحذا حذو القدماء المصريين ، واهتدى بهديهم وجاهد من أجل توحيد السودان مع مصر فى الفترة مابين ١٨٢١ ، ١٨٢٢ . (٢٥) .

وبعد أن القينا الضوء على العلاقات المصرية السودانية عبر العصور ، وبطريقة موجزة للغاية ، نعود مرة ثانية للحديث عن بناء جيش محمد على الحديث ، الذى ساهم فى اعداده المسيو سيف الفرنس الجنسية ، والذى يعتبر بحق المنظم الحقيقى بل والمؤسس لجيش محمد على الحديث ، وكان هذا القائد على جانب كبير من الوفاء والإخلاص لوالى مصر ، ودليلنا على ذلك ما قاله فى حق محمد على باشا وهذا نصه « أحببت فى حياتى ثلاثة رجال ؛ والدى ونابليون ومحمد على ، فلقد مات الأول والثانى وبقى حبى منحصراً فى محمد على باشا » (٢٦)

ومن المعروف لنا أن تجربة تجنيد السودانيين باءت بالفشل لأسباب عدة منها عدم ملاءمة المناخ المصرى لهؤلاء الجنود ، ومنها عدم رغبتهم فى ممارسة هذا العمل الجديد بالنسبة لهم ، ومنها تفشى الأمراض فيما بينهم ، ربما لعدم توفير الرعاية الطبية الكافية . وعلى أية حال فأن البقية الباقيه من الجنود السودانيين ساهمت الى حد لا بأس به فى الحروب التى خاضها الجنود المصريين ، وبخاصة حرب المكسيك .

---

(٢٤) دكتور/حسن سليمان محمود ، وجلال الجاويش : تاريخ السودان فى العصور القديمة ، القاهرة بدون تاريخ ص ص ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ١٤٣ .

25- philip Curtin and others: Op. Cit. P. 342.

(٢٦) ادوار جوان : مصر فى القرن التاسع عشر ، تعريب محمد مسعود . ص ٨٢٤

وللإستزادة فى هذا الموضوع يمكن مراجعة الفصل الأول من كتاب الوجود المصرى فى افريقيا فى القرن التاسع عشر للمؤلف ، وكذلك كتاب دكتور محمد محمود السروجى ، الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر .

ومما لاشك فيه أن والى مصر محمد على باشا قد نجح فى أن يعد جيشا ضخما فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، هذا الجيش الذى لعب فى افريقيا دورا حضاريا بارزا ، تمثل فى العديد من الجوانب الحضارية ، التى لم تشهدها معظم الأقاليم الأفريقية والسودانية من قبل .

الدور الحضارى للجيش المصرى

فى افريقيا فى القرن التاسع عشر

لا نبالغ حينما نقول أن دور الجيش المصرى الحضارى فى افر يقيا ، كان على جانب كبير من الأهمية ، لأنه شمل جوانب حضار ية متعددة ، سوف نجملها على النحو التالى : —

الكشف عن منابع النيل

قبل الحديث عن هذا الدور لابد من معرفة الأسباب التى أخرت الكشف عن أواسط افر يقيا ، فمن المعروف أن وسط افر يقيا كان غير معروف للعالم الخارجى حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر (٢٧) . وسبب ذلك يرجع الى وجود الصحراء الكبرى ، التى كان من الصعب على الرحالة والمغامر ين اجتيازها ، وذلك لندرة المياه فيها ، هذا فضلا عن شدة الحرارة وكثرة الكثبان الرملية ، وعداء القبائل الأفر يقية للرحالة الذين كانوا يتعرضون للإغتيال من جانب هؤلاء الوطنيين ، زد على ذلك فأن أنهار افر يقيا لم تكون تصلح للملاحة أما بسبب قصرها وكثرة تعاريجها ، أو بسبب وجود الشلالات والجنادل التى تعترض مجاريها ، هذا فضلا عن قسوة مناخ هذه القارة و بخاصة فى المنطقة الإستوائية التى تتميز بكثرة الغابات الشاسعة الكثيفة الأشجار والتى تعوق تقدم الرحالة سواء كان ذلك أثناء سيرهم على الأقدام أو باستخدام الدواب ، التى كانت تتعرض للنفوق بسبب لدغات ذبابة تسى- تسى Tse-Tse Fly الضارة بالحيوان والأنسان والمنتشرة بكثرة فى المناطق الأستوائية ، الزائدة الرطوبة . (٢٨) لذلك أطلق الأورو بيون على القارة الأفر يقية نتيجة للأسباب سالفة الذكر القارة المظلمة . (٢٩) بل وتصوروا أنها مسكونة بالأشباح ومليئة بالخرافات .

---

(٢٧) د . السيد يوسف نصر : الوجود المصرى فى افر يقيا فى القرن ١٩ المصدر السابق ص ص ١٢ — ٢٠

(28) Josephine Kamm: Explorers into Africa. pp. 9.10

(29) Africa has been called the «dark continent» And in this context dark doesn't mean beautiful, but unknown, Mystertious and threa tening. Significantly, Africa has been called dark only by people outside Africa. And this seems to be this great continent's bigest difficulty: to be ,misunderstood by ousiders. Who are these outsiders? Mostly Europeans, and even Americans of the past several hundred years. They neither knew the history

ولكن على الرغم من الأسباب السابقة التى كانت عاملا رئيسيا فى تأخر كشف أواسط القارة الأفريقية الا أن والى مصر محمد على باشا لم يقف مكتوف الأيدى حيال مشكلة الكشف عن النيل، و بعض الأجزاء الأخرى من أواسط افريقيا والتى تعتبر من أهم الجوانب الحضارية التى قام بها الجيش المصرى فى افريقيا فى القرن التاسع عشر، فكان حاكم مصر قد قرر أن يرسل حملتين عسكريتين الى بلاد السودان تمشيا مع دوافعه السابقة وقد تمكنت الحملة الأولى التى أرسلت عام ١٨٢٠ والتى كانت تحت قيادة إبنه اسماعيل من توحيد كل الممالك السودانية، التى تقع على طول النيل النوبى، كما تمكنت أيضا من فتح سنار، وضم شرق السودان الى السيادة المصرية (ولا مجال هنا للحديث عن المعارك التى خاضتها هذه الحملة) وفى عام ١٨٢١ أرسل محمد على حملة أخرى كانت تحت قيادة محمد بك الدفتردار للقضاء على سلطان دارفور، و بالفعل نجحت هذه الحملة فى وضع كردفان تحت السيادة المصرية. وبهاتين الحملتين تمكنت مصر من فتح السودان الشمالى، وتوقفت قواتها عند هذا الحد ولم تتوسع صوب الجنوب، والسبب فى ذلك ربما يرجع الى الصعاب التى واجهها الجنود فكان لابد من التمركز فى هذه المناطق التى تم الإستيلاء عليها حتى يسترد الجنود أنفاسهم وحتى يكون فى إمكانهم القيام بعمليات التنقيب عن المعادن المختلفة فى جبال فازوغلى والنوبا. و يرجع سبب ذلك أيضا الى اشتراك مصر فى حرب اليونان، وبالتالى فلا يمكن لقواتها التقدم جنوبا خشية أن تنشب بينها و بين الحبشه معارك

---

of Africa, nor recognized the marvelous talents to Africans. They put labels on Africa and itscitizens primitives, natives, or even savages. If Africa is dark, it is only so because of the label put on it by people who do not know it.

In the early centuries of African exploration most of what Europeans Knew-or thought they knew a bout the interior was based on legend rumour, amd speculation. Many believed that unknown Africa was savage and sinister, populated by dwarfs and cannibals. Scholars and savants wrote knowingly of strange creatures such as unicorns, were wolves, and «men whose heads did grow beneath their shoulders». But others held a contrary view. They believed that Africa was the home of the Noble savage, the innocent simple man living in golden joy. But no matter what position they took on Africans, there were few who doubted that gold and other riches were concealed in the mighty continent.

هى فى غنى عنها ، لهذا تمسكت القوات المصرية بما استولت عليه من أرض (٣٠)

ولكن فى عام ١٨٣٩ م تغير الوضع تماما فكانت قوات محمد على قد أنهت كل حروبها فى بلاد اليونان وسوريا ، وحددت مناطق نفوذها فى آسيا عام ١٨٤٠ م وفى هذا العام أى عام ١٨٣٩ م أصدر محمد على تعليماته الى ديوان الجهادية (وزارة الحربية حديثا) كى يعد ثلاث سفن بكامل مهماتها على شرط أن تكون هذه السفن فى حالة جيدة وأن تزود بمدفعين لحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق أى لم يكن الهدف منها استخدامها ضد الوطنيين . وقد حذر والى مصر مدير منطقة النيل الأبيض من الأهمال فى هذا العمل أو التأخير فيه . و بعد أن تسلم مدير النيل الأبيض خطاب والى مصر قام بأعداد ثمانية سفن ومركبين وخمسة عشر زورقا ، وكان على متن هذه السفن ٤٠٠٠ جندى من جنود المشاة المصريين بالإضافة الى كميات من الذخيرة والمؤن التى تكفى جنود الحملة حوالى ثمانية شهور ، وعين على رأس هذه الحملة الضابط البحرى سليم ، وقد صحبه فى هذه الرحلة المسيوثيبو Thibaut الفرنسى الجنسية والذى عين مهندسا لهذه الحملة . وكان يعتبر الأوروبى الوحيد الذى رافقها ، هذا الى جانب عدد آخر من الضباط المصريين من أمثال كل من الضابط فراج والضابط فيض الله الذى كان مسئولا عن شئون الملاحة .

وبعد أن اكتمل إعداد الحملة بدأت فى يوم ١٦ نوفبر عام ١٨٣٩ مسيرها عبر النيل الأبيض متجهة صوب الجنوب وتمكن أفرادها من مشاهدة القبائل العربية التى تقطن على طول شواطئ النهر وكان من أهمها قبائل منسى موسى مقبولة

The Bible told them that ivory, apes peacocks had been shipped from there to the queen of sheba. What was the truth? No one knew.

1) Frank Mcquilkin: think black, an introduction to black political power. U.S.A.1970.P. 15.

2) Elspeth Muxley: the challenge of Africa. No. 12. The dark continent London, 1971.P.9.

(٣٠) د. جلال الدين مصطفى يحيى : مصر الأفريقية والأطماع الإستعمارية فى القرن التاسع عشر . ص ص ٣٥ — ٣٨ .

والحسانية . وسجلت الحملة كل عادات وتقاليد هذه القبائل بل ونظمها السياسية والأقتصادية والأجتماعية . ومرت كذلك بمنطقة قبائل الشلك التى تقطن الضفة الغربية للنهر، والتى كان أفرادها يختفون فى الأدغال بمجرد رؤ ية افراد الجملة (٣١) . و يتميز أفراد هذه القبيلة بأنهم كانوا عراة تماما وكان من عاداتهم إشعال النيران لأشعار بعضهم البعض بأى خطر يتعرضون اليه ، و ينام المرضى منهم فى الرماد وروث الماشية ليحموا أنفسهم من لدغات الباعوض ويخلع ، أفراد هذه القبيلة الأربع قواطع الأمامية و بخاصة من الفك الأسفل إعتقادا منهم أن هذه العملية ، تدل على اكتمال نمو الجسم و بلوغ مرحلة الرجولة وكانوا يتز ينون بوضع حلقات من الحديد فى أرجلهم وأذرعهم و يز ينون رماحهم التى يصنعونها من الحديد بر يش النعام ، وقد مرت الحملة ببحر السو باط وشاهد أفرادها أن مياهه عكره ولم تسير الحملة فيه لأنه لم يكن من أهدافها بل واصلت سيرها فى بحر الجبل ومرت بقبيلة النو ير ووصف سليم أفراد هذه القبيلة بأن شعورهم طو يلة ومدهونة باللون الأحمر وكانوا يز ينون أيديهم بحلقات من الحديد والنحاس والعاج و يوشمون أجسامهم ربما لعادة عندهم كما كانوا يتسلحون بالحراب والأقواس . ومن بعد قبيلة النو ير مرت الحملة بعدد آخر من القبائل منها قبيلة الدنكا والنوفهون والباطلية والبحور والكيك والبندر يال والعلياب ، وقد عرف سليم الكثير عن عادات هذه القبائل التى تكاد أن تكون متشابهة عند أفرادها . فجميع أفراد هذه القبائل عراة تماما بأستثناء ستر عوراتهم وذلك بقطع من الجلد أو ببعض أوراق الشجر و يتز ينون بوضع حلقات حديدية أو نحاسية فى أيديهم وفى أرجلهم . و يعمل أفراد هذه القبائل بالزراعة البدائية فيزرعون الذرة والسمسم والقرع ، و ير بون الأبقار والأغنام والماعز. و بعد أن مرت الحملة بجميع هذه القبائل وصلت فى نهاية الأمر الى خط عرض ١٠ ٥° شمال خط الأستواء وعند هذا الحد لم تتمكن البعثة من التقدم صوب الجنوب ، فأضطرت الى العودة الى الخرطوم التى وصلتها يوم ٣٠مارس عام ١٨٤٠ م . وقدم سليم تقر يرا عن حملته الى حاكم عام السودان (٣٢) . ولكن لم يرض محمد على ، على ما حققته هذه الحملة من نتائج فقرر أرسال

---

(٣١) د . السيد يوسف نصر : جهود مصر الكشفية فى افر يقيا فى القرن التاسع عشر . المصدر السابق ص ص ٣٦ — ٣٧ .

(32) Raport de selim Capitaine: Bulletin de la societe de Geographie, Juillet 1840

حملة ثانية انضم الى أفرادها دارنو D. ARNAUD وساباتيه SABATIER وهما مهندسان فرنسيان ، كما التحق بها فيرن الألمانى الجنسية . و بعد ان اكتملت كل الأجراءات ، بدأت الحملة رحلتها فى يوم ٢٣ نوفبر عام ١٨٤٠م صوب الجنوب متخذة نفس الطريق الذى سلكته الحملة الأولى . وكان من أهدافها الكشف النهائى عن منابع النيل فقد مرت من خلال أراضى القبائل التى يمر النيل من خلالها (٣٣) . وقام فيرن فى اثناء ذلك بتسجيل كل الملاحظات الخاصه بطبيعة النهر ومنسوب مياهه و بكل ما يتعلق بالقبائل التى مرت الحملة من خلال أرضها فسجل عاداتها ونشاطها الأقتصادى والأجتماعى ، وتناول أنظمتها السياسية (٣٤) ، وكان من أهم هذه القبائل النيلية ، قبيلة البارى التى يتميز أفرادها بقوة البنية و بالأنوف الفطساء غير المفلطحة ، و بالوجوه البيضاو ية الشكل ، و بالجباة البارزة . و بعد أن غادرت الحملة الثانية موطن قبيلة البارى وصلت الى خط عرض ٤٢ ٤° شمال خط الإستواء ، ولم تتمكن من مواصلة المسير أكثر من ذلك . (٣٥)

ولكن رغم هذه النتائج التى تعتبر بدون شك على جانب كبير من الأهمية الا أن محمد على باشا قرر ارسال حملة ثالثة اعتقادا منه أن الحملتين السابقتين لم تتمكنا من تحقيق أهدافها .

وأن هذه الحملة ربما يكون فى إمكانها إنجاز الكشف عن منابع النيل، و بعد أن اكتملت معدات الحملة من أفراد وأسلحة وذخيرة بدأت المسير من الخرطوم فى يوم ٢٧ نوفبر عام ١٩٤١، وسلكت نفس الطر يق الذى سلكته الحملتين السابقتين و وصلت إلى النقطة التى وصلت إليها الحملة الثانية ولم تتمكن من التقدم أكثر من ذلك، فاضطرت إلى العودة إلى الخرطوم فوصلتها فى يوم ٦ مارس عام ١٨٤٢م . (٣٦)

---

(33) Ferdenand Werne: An expedition to discover the cours of the white Nile in the year 1840-1841. Vol. 2 pp 309- 310.

(34) I bid .p.p.309,310.
Missionaries Knoblecher Brun Rollet

(٣٥) د. نسيم مقار: رحلات البكباشى سليم قبودان. ص ٩٢.

(٣٦) نفس المصدر السابق. ص ص ٩٥ — ٩٦.

ويمكن إرجاع السبب فى عدم تقدم حملات محمد على الكشفية صوب الجنوب مسافة أبعد إلى عدم صلاحية النهر للملاحة و بخاصة فى المنطقة الجنوبية من بحر الجبل، وذلك بسبب وجود الجنادل والشلالات بالإضافة إلى ضحالة مياه النهر، وزيادة على ذلك فإن السفن التى استخدمت لهذا الغرض لم تكن على درجة عالية من الكفاءة. ومن المحتمل أيضاً أن يكون محمد على قد فقد الثقة فى إتمام هذا العمل، و بخاصة بعد أن أصبح فى سن متقدمة، ففقد بذلك كل طموحاته. ولذلك يعاب عليه توقفه عند هذا الحد، فكان من الواجب عليه أن يتخذ من النقطة التى وصلت إليها حملته الأولى نقطة إنطلاق بالنسبة لإعداد حملاته التالية، فبذلك يمكن توفير الوقت الكافى الذى كانت تستغرقه الرحلة ذهاباً وإياباً. فمن هذه النقطة كان يمكن إرسال بعثات كشفية تستخدم البر بدلا من استخدامها للنهر، وكان فى إمكان هذه البعثات تحقيق الكشف النهائى لمنطقة أعالى النيل. وهذا ماحدث فى عصر إسماعيل إذ أنه أرسل غردون على رأس حملة كشفية اتخذت من بلدة غندوكرو نقطة انطلاق حيث خرجت منها البعثات الكشفية التى كان لها الفضل فى إتمام الكشف عن مصادر النيل، وهذا ماسوف نتحدث عنه بالتفصيل بعد قليل. فكان فى إمكان محمد على أن يؤسس ترسانة لبناء السفن أو أن يرسل هذه السفن ثم يعاد تركيبها لاستخدامها فى الملاحة، فى المناطق التى تسمح المياه فيها بذلك. زيادة على ذلك فإن وجود مصر فى هذه البلاد و بصفة مستمرة كان سيدعم السيطرة المصرية على هذه البلاد.

وإذا كانت حملات محمد على الكشفية قد فشلت فى الكشف عن منابع النيل إلا أنها على أية حال كانت فتحاً جديداً فى مجال الكشف الجغرافى فى أفريقيا، فقد حققت هذه الحملات الكثير من النتائج الهامة التى تمثلت فى إلقاء الضوء على القبائل النيلية التى من أشهرها قبيلة الشلك والدنكا والنوير والكيك والبحور والنوفهون والعلياب والبارى وغيرها. وفضلاً عن ذلك فإن تقارير الحملات و بخاصة تقرير فيرن قد وضح لنا عادات وتقاليد ونظم وأنشطة هذه القبائل التى لم يكن العالم الخارجى يعلم عنها شىء، كما كانت هى بالتالى لا تعلم أى شىء عما يدور حولها، فكانت كل معرفتها لا تتعدى حدودها التى تقطنها. وقد قام فيرن برسم خريطة تعتبر الأولى من نوعها للمنطقة التى تقطنها القبائل النيلية ووضح

عليها موطن كل قبيلة على حدة، وهذه الخريطة منشورة فى تقريره الموجود بالجمعية الجغرافية المصرية، وقام بتعريبها الدكتور نسيم مقار فى كتابه «رحلات البكباشى المصرى سليم قبودان». زيادة على ذلك فإن هذه الحملات نشطت حركة التجارة بين شمال السودان وجنوبه، بعد أن كانت معدومة تماما بسبب الحروب التى كانت تنشب بين الشماليين والجنوبيين. وأهم من ذلك كله فإن حملات محمد على باشا الكشفية ساهمت إلى حد كبير فى إدخال الوسائل الحضارية إلى هذه البلاد، التى كانت قد حرمت منها تماماً طوال تاريخها، وتمثلت هذه الوسائل الحضارية فى إدخال السلع التجارية غير المتوفرة فى الجنوب والتى تمثلت فى الأقشة والخرز والأسلحة فضلا عن إحلال العمارة محل القش والبوص فى بناء منازل الجنوبيين، كما أتاحت هذه الحملات أيضاً الفرصة أمام المبشرين Missionaries للدخول إلى أواسط أفريقيا، وذلك لنشر العقيدة المسيحية بين سكان هذه البلاد، التى كانت تدين بديانات وثنية مختلفة، وكان من أشهر هذه البعثات التبشيرية بعثة كنوبلخر Knoblecher التى ذهبت إلى أعالى النيل فى أعقاب الفتح المصرى لهذه البلاد، أى فى عام ١٨٤٩م. وتمكنت هذه البعثة من إنشاء مدرسة وكنيسة ومنزلا لأفرادها فى بلدة غندوكرو، كما ساهمت هذه البعثات أيضاً فى نشر العقيدة المسيحية فى منطقة بحر الجبل وفى منطقة السوباط. فلولا الفتح المصرى لهذه البلاد ماتمكنت هذه البعثة من الوصول إلى هذه المناطق كما لم يستطع أحد من الرحالة الأوروبيين أن تطأ قدميه أرض هذه البلاد قبل الفتح المصرى.(٣٧)

وبالإضافة إلى هذا كله فأن هذه الحملات شجعت بعض الأفراد على القيام بتأسيس شركات فى منطقة أعالى النيل، وقد حدث ذلك فى العام التالى لرجوع الحملة الثالثة من أعالى النيل أى فى عام ١٨٤٣م. وكان الهدف من هذه الشركات الإتجار فى سن الفيل وريش النعام، ولكنها مالبثت أن قامت بالإتجار فى الرقيق، كما أتاح هذا الكشف أيضاً الفرصة أمام التجار والرحالة الأوروبيين من الوصول إلى هذه البلاد وكان من هؤلاء الرحالة الفرنسى برون

---

(37) Toniolo, E,: The first Centenary of the Roman Catholic Mission to central Africa .S.N.R.Vol XXVII pp. 106-109

روليه Brun Rollet ، الذى زار منطقة غندوكرو وبحر الغزال(٣٨) ثم قام من بعده الكثير من الرحالة لزيارة هذه البلاد، سواء أكان ذلك فى عهد عباس الأول أم فى عهد محمد سعيد باشا وأدى ذلك بالتالى إلى انتشار تجارة الرقيق فى هذه البلاد، والتى ساهمت مصر مساهمة فعالة فى القضاء عليها.

ولكن على الرغم من كل هذه الأعمال العظيمة التى قامت بها مصر فى عصر محمد على فى مجال الكشف عن منابع النيل، إلا أن الكتاب الأوروبين أرجعوا الفضل فى الكشف عن مصادر النيل إلى بعثة تبشيرية ألمانية كانت قد قدمت إلى شرق أفريقيا فى عام ١٨٤٤م وقد تكونت هذه البعثة من جوهان لويج كراف Johann Ludwig وجوهان ريبمان اللذين قادا بعثة تبشيرية من أوربا إلى شرق أفريقيا فاعتبر الأوربيون هذه البعثة هى التى قامت بكشف منابع النيل من جهة الشرق، وقالوا إن منابع النيل لم تكتشف عن طريق مجراه الرئيسى ولكنها كشفت من جهة الشرق ولم يشيروا فى ذلك إلى حملات محمد على الكشفية التى استغرقت ثلاث سنوات ابتداء من ١٨٣٩م وحتى عام ١٨٤٢م، إلا مجرد إشارة فقط. و يعتبر هذا القول من جانب الأوربيين منتهى الإجحاف والظلم لأن أوروبا كلها لم تستطع تجهيز حملة مثل الحملات التى أعدتها مصر للمساهمة فى الكشف عن منابع النيل، بل اعتمدت أوروبا على ماقام به الرحالة والمغامرون. ولكن كان يمكن القول بأن البعثة الألمانية ساهمت فى كشف بعض الغموض عن أجزاء بسيطة من منابع النيل من جهة الشرق، ولا يمكن القول إن هذه البعثة يرجع الفضل إليها فى الكشف عن منابع النيل من جهة الشرق و بعبارة الكاتب الأجنبى.

«In the end, it was solved not by the logical course of following the river up to its source, but by striking across from the east coast to the centre of the continent»

واضح من هذا النص مدى تجاهل الكتاب الأجانب لدور مصر فى عصر محمد على فى الكشف عن مصادر النيل رغم أهمية هذا العمل. ويمكن مراجعة ذلك فى الهامش (٣٩).

---

(39) Egypt was ruled at this time by a man we would now call a military dictator. Mohamed Ali was an Albanian, a selfmade man of ruthless ability who restructured the ramshackle Turkish administration of Egypt, and went

و بعد عصر محمد على، تولى حكم مصر عباس الأول عام ١٨٤٩، ومن بعده، تولى محمد سعيد الحكم عام ١٨٥٤م، ولم يكن لهذين الحاكمين أى نشاط كشفى يذكر فى أفر يقيا وذلك لانشغالها بالشئون الداخلية لمصر والسودان. ولكن لما تولى اسماعيل الحكم عام ١٨٦٣، أخذ على عاتقه العمل بكل إخلاص ليحقق لمصر أمانيها و بعبارته: (٤٠)

«Comme chef d'Etat et Comme Egyptien, je considere comme un devoir sacre, pour moi, de suivre l'opinion de mon pays et de donner une entiere satisfactions ses legitimes aspirations lettre d'gsmail acherif pasha.

وكان الخديو اسماعيل قد أخذ على عاتقه إكمال الكشف عن منابع النيل بصفة نهائية وذلك ليحقق هدفين أولها القضاء على تجارة الرقيق، وثانيها تأسيس إمبراطور ية شاسعة فى أفر يقيا ، واستعان فى ذلك بعدد من الضباط الأجانب منهم السير صمو يل بيكر الذى زار منطقة أعالى النيل عام ١٨٦١، وكان يصطحب معه زوجته، وفى حفل افتتاح قناة السو يس قابله الخديو اسماعيل الذى طلب منه أن يقود حملة عسكر ية كشفية لتكملة الكشف عن منابع النيل الذى بدأه جده محمد على باشا و بالفعل قاد بيكر هذه الحملة عام ١٨٦٩ ، وكانت تتكون هذه الحملة من ١٥٠٠ جندى، ٦١ سفينة، واقتصر هدفها على ضم الأراضى التى تمر من

---

on the conquer most of the sudan. In 1824; he established a garrison at khartoum, at the junction of the white and Blue Niles. In 1839, he sent an expedition under a Turkish officer, Selim Bimbashi up river in sailing boats to seek the sources of the white Nile. The boats found a way through the sudd- amass of floating vegetable ,matter which blocks the river in some places and got as far as present-day Bor. Two more expeditions followed, in 1841 and 1842, also under selim. A German, Ferdinand Werne, went With the first of these and made scientific Observations. The boats reached the latitude of Gondokoro, near modern juba in the Repulic of Sudan, but were halted by impassable rapids. All Mohamed Ali's drive and ambition failed to settle the question of the white Nile's origin. In the end it was solved not by the logical course of following the river up to its source, but by striking across from the east coast to the centre of the continent.

Doubleday and Company Inc.: Exploring Africa and Asia, the Encyclopedia of discovery and exploration. pp. 242-243.

(40) Gaston zananiri: Le khedive Ismail et L'Egypt e (1830-1891). p. 3.

خلالها حتى آخر نقطة تصل إليها الى السيادة المصرية . وكلفت أيضاً بإنشاء عدد من المحطات العسكرية على طول نهر النيل، إبتداء من فاشوده الواقعة عند مصب نهر السوباط وحتى آخر نقطة تصل إليها، على أن يترك فى كل محطة ضابط وعدد من الجنود المصريين ومن الواضح من إنشاء هذه المحطات تأكيد السيادة المصرية على هذه البلاد، والعمل على نشر الأمن فيها. كما كان على الحملة أيضاً أن تعمل على القضاء على تجارة الرقيق فى أعالى النيل، التى كانت قد انتشرت على نطاق واسع فى هذه المناطق (٤١). وبعد وصول بيكر إلى غندوكرو نفدت المواد الغذائية مما اضطره ذلك إلى جمعها من القبائل النيلية، فأدى ذلك إلى الدخول معها فى معارك جانبية، فخرج بذلك عن الهدف الحقيقى للحملة وبعد أن تجولت حملته فى بلاد الأنيورو وبعض المناطق الجنوبية الأخرى عادت إلى الخرطوم فى عام ١٨٧٣ (٤٢).

ويمكن القول أن حملة بيكر قد نجحت فى تحقيق كشف بعض مناطق جديدة فى منطقة أعالى النيل، فضلاً عن إنشاء بعض المراكز والمحطات العسكرية فى كل من غندوكرو، وفاتيكو وفويرا والتوفيقية. ومع ذلك فقد فشلت فى تحقيق الأهداف الرئيسية، الممثلة فى القضاء على تجارة الرقيق وفى فتح هذه المنطقة للتجارة المشروعة، كما لم تتمكن من كشف حدود بحيرة نيانزا، وضم أراضى أبعد من فويرا إلى السيادة المصرية (٤٣).

وعلى أية حال، فإن حملة بيكر العسكرية تعتبر على جانب كبير من الأهمية رغم فشلها فى عدم تحقيق مهامها كاملة، ويعتبر صمويل بيكر المسئول الأول عن فشل هذه الحملة لأنه لم يتبع الخطة التى أقرتها الحكمدارية فى الخرطوم، فمنذ اللحظة الأولى نجد أنه لم يسير على نهج التخطيط الموضوع لحملته فبمجرد أن وصل إلى مصب نهر السوباط وجه الحملة إلى منطقة السدود النباتية ولم يتبع الطريق المحدد له، مما أدى إلى غوص عدد من المراكب فى الوحل وعجز بيكر عن إخراجها فاضطر

---

(41) Abdin. Corresp fran. Doss. 72/I. f. 20922. Cairo 15 avril 1869.

(42) Sagay, J.O. and wilson, D.A: Africa, A modern history (1800-1975). - pp. 19-20.

(43) Mohamed Fouad Shukry: Khedive Ismail and slavery in the Sudan,1863- 1879 p. 174.

إلى الانـتـظار فترة من الوقت حتى يرتفع منسوب المياه ليتمكن من إخراج المراكب وأدى ذلك بـالـتـالى إلى إتلاف البعض منها، زد على ذلك أنه لم يزود الحملة بكمية كـافـيـة مـن المـواد الـغـذائـيـة، فـلـو كان بيكر اتبع تخطيطاً سليماً واتبع تعليمات الحكمدار ية، مـافـشـلـت الحـمـلـة فى تحـقـيـق أهـدافـهـا ويمكن مراجعة ذلك فى الهامش. (٤٤)

ولم يـكـتـف الخديو اسماعيل بكل هذه النتائج التى حققتها حملة السير صمو يل بـيـكـر التى أرسلت إلى أعالى النيل عام ١٨٦٩م، لذا قرر إرسال حملة أخرى بقيادة غوردون باشا (٤٥) وقد تكونت هذه الحملة من عدد من الضباط والجنود. و بعد أن تم إعـدادهـا بـدأت مـهـمـتـهـا عام ١٨٧٤ وقد رافق غوردون فى هذه الحملة عدد من الـضـبـاط الأمـر يـكـيـين الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى من أمثال أرنست لـيـنـان دى بلفون، وشايولونج وماسون وجيسى، كما تضمنت أيضاً عدداً آخرا من المـصـر يين أمـثـال الـضـابـط محـمـد أحمد، والضابط مصطفى أفندى ، وكانت هذه الحـمـلـة تختلف عن سابقتها فقد حملت معها قوارب مفككة، وذلك لإعادة تركيبها عـنـد آخر نقطة تصل إليها، فهناك يعاد تجميعها لاستخدامها فى بحيرة البرت ، ومن هـنـاك أيـضـاً تـرسل البعثات الكشفية . فى عام ١٨٧٤م أرسلت بعثة تحت رئاسة شـايولونج لكشف المنطقة الممتدة من غندوكرو إلى أوغندا وقد تمكنت هذه البعثة مـن وصـف جميع المـظـاهـر الطبيعية والنباتية للمنطقة التى مرت من خلالها، كما ألـقـت الضوء على الأحوال الإجتماعية الخاصة بشعب أوغندا، ومدى مايتعرض له

(44) A part from establishing the two military posts at Gondokoro and Fatiko, the station of Foweira, and the town of Tewfikieh the expedition failed to accomplish its chief objects the suppressing of the slave trade traffic, the opening of the country to legitimate Commerce, the placing of a steamer on lake Albert N'yanza, the establishment of a steamer there being one of the most important objects of the expedition. In spite of sir Samuel's Claims the expedition had conquered and pacified the country as far as the Equator, no, teritory beyond Foweira and Fatiko was annexed. In stead the expedition had exceted the hostility of the natives and driven them into alliance with the shave trader.

(1) Mohamed Fouad Shukry, Khedieve Ismail and slavery in the Sudan. (1863-1879). pp. 174,175, and at the end.

هذا الشعب من ظلم وقسوة من جانب الملك ميتسا الذى كان يحرم على أفراد شعبه تدخين الدخان فى حضوره ولو تصادف ودخن أحد المواطنين الدخان، ورآه ميتسا فإن مصير هذا المواطن يكون الإعدام. ومن مظاهر الظلم أيضاً أن السكان كانوا ينبطحون على الأرض عند مقابلته، وكان ميتسا هذا يقوم باقطاع بعض الأراضى بمن عليها من السكان إلى أحد المقربين إليه. و يذكرنا هذا النظام بالنظام الإقطاعى الذى كان سائداً فى أوروبا فى العصور الوسطى. كما تمكنت البعثة أيضاً من إلقاء الضوء على عادات وتقاليد شعب أوغندا.

و بعد أن أنهى لونج مهمته فى أوغندا اكتشف فى أثناء عودته بحيرة مجهولة سماها بحيرة إبراهيم، تخليداً لذكرى والد الخديوى اسماعيل. وعلى الرغم من كشفه لهذه البحيرة إلا أنها لم تظهر باسمها الجديد على أول خريطة رسمت لمنطقة أعالى النيل عام ١٨٨٠م، بمعرفة كيث جونستون Keith Johnston ، بل إن الإسم الجديد للبحيرة الذى ظهر على الخريطة كان يعرف باسم «بحيرة كيوجا» بدلاً من بحيرة إبراهيم. وقد أغضب هذا شايولونج وظل يشكو إلى الجمعية الجغرافية البريطانية كى تصحح هذا الخطأ. (٤٦).

وفى عام ١٨٧٥ أرسلت مصر بعثة كشفية أخرى تكونت من عدد من الجنود المصريين تحت قيادة أرنست لينان دى بلفون وذلك لكشف المنطقة الواقعة بين فاتيكو، الواقعة فى جنوب السودان و بين أوغندا، وكان الهدف من هذه البعثة العمل على ضم بلاد أوغندا إلى السيادة المصرية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كشف المنطقة التى تمر من خلالها هذه البعثة، وقد تمكنت بعثة أرنست العسكرية من إلقاء الضوء على أحوال هذه البلاد، من كافة النواحى السياسية والأقتصادية والأجتماعية. (٤٧)

وفى عام ١٨٧٦ أرسلت مصر من غندوكرو حملة عسكرية أخرى مكونة من

---

(46) The Governor General: Publications of the Egyptian General Staff, Provinces of the Equator, Summary of letters and Reports of his Excelency. part 2. Cairo, 1877. pp. 37-80.

(47) Debellefond, E.L.: I tineraire et notes. Bull. Soc. kh. Geog. Serie I.v. pp. 3, 15,43,68-69.

عدد من الجنود المصريين تحت رئاسة رومولى جيسى لكشف بحيرة نيانزا، وقد استخدمت هذه البعثة مركبا للطواف فوق سطح مياه البحيرة، ودارت بجوار شواطئها، ولكنها لم تتمكن من كشف مصب نهر السمليكى، الذى يتصل بالبحيرة من جهة الجنوب. ولم يستطع جيسى تحقيق الكشف النهائى عن هذه البحيرة بل إنه وقع فى خطأ حينما قال إنه يوجد فرع للنيل يخرج من شمال بحيرة البرت فى اتجاه الغرب. وفى الواقع كان لايوجد هناك فرع للنيل فى هذه المنطقة باستثناء بحر الغزال وبحر العرب.

وفى عام ١٨٧٧، أرسلت مصر بعثة عسكرية أخرى تحت قيادة ماسون بك لكشف بحيرة البرت نيانزا، وقد نجح ماسون فى ذلك وقام برسم خريطة لهذه البحيرة، وضح عليها نهر السمليكى الذى يمثل المصدر الرئيسى للبحيرة، فهو يتصل بها من جهة الجنوب، وهذا مافشل جيسى فى تحقيقه، كما ألقى ماسون الضوء على شواطىء البحيرة، وعلى القرى التى توجد فى هذه المنطقة والتى من أهمها قرية نورسوار وقرية فاكوفيا، التى يعمل أهلها باستخراج الملح وصيد الأسماك. (٤٨)

وتعتبر الحملة المصرية الكشفية التى أرسلتها مصر تحت قيادة غردون باشا من أعظم الحملات المصرية لأنها تمكنت من الكشف النهائى عن منابع النيل، ووضعت حداً لهذه المشكلة التى حيرت العلماء طوال عصور التاريخ الحديثة. كما كانت فتحاً جديداً فى مجال التقدم الحضارى فى هذه البلاد. هذا إلى جانب أنها أكدت السيادة المصرية على السودان الجنوبى وأوغندا وذلك بإنشاء عدد من المحطات العسكرية التالية: (٤٩)

At this time colonel Gordon was enabled to report the organization of governmental districts along the whole line south from the northern frontier of his provinces down to the Victoria Nile, (the Somerset river of Speke the chief stations being the follwing:-

1 st. Sobat station- At the Junction of the sobat river with the Nile-garrison 50 Soudan-regulars;

---

(٤٨) د. السيد يوسف نصر: جهود مصر الكشفية فى أفريقيا فى القرن ١٩ ـــ المصدر السابق. ص ص ٩١ ـــ ٩٢.

(49) Summary of letters and reports of his excellency the Governor-General. Provinces of the Equator. Part. one. Cairo, 1877. pp. 32-33

2 nd. Nasr Station.- On the Sobat- garrison 100 Dongolese irregulars;

3 rd. Rabatchambe. - 30 Soudan regulars- 150 Dongolese irregulars;

4 th. Makraka station- Country of Makraka Niam- Niam 20 Soudan regulars, 200 Dongolese;

5 th. Bor. station. -10 Soudan regulars, 150 Dongolese;

6 th. Latooka station. - 10 Soudan regulars 100 Dongolese;

7 th. Lardo (Headquarters). -180 Soudan regulars, 50 Egyptian regulars;

8 th. Rageef station.- 80 Soudan regulars;

9 th. Ibrahimieh (Duffli).- 100 Soudan regulars; Fatiko station.- 250 Soudan regulars; 100 Dongolese;
Foweira station.- 100 Soudan regulars, 100 Dongolese.

ورغم هذه الأعمال الجيدة التى قامت بها القوات المسلحة المصرية فى الكشف عن المناطق المجهولة فى أواسط أفريقيا، فى هذه الفترة إلا أن الأجانب أنكروا هذا العمل على مصر، ولم يشيروا إلى هذه المجهودات إلا بجرد إشارة مع أنهم يفردوا فى جميع الكتب التى تتناول موضوع الكشف عن النيل الصفحات العديدة للرحالة البريطانيين وغيرهم من الأوروبيين. (٥٠)

العمارة :

لم يكن فى بلاد السودان مدن تستحق الذكر قبل الفتح المصرى لهذا الإقليم فى الفترة مابين ١٨٢٠ ، ١٨٢١م باستثناء سنار ومع ذلك فإنها كانت لا تصلح لأن تكون مقراً لقيادة الجيش المصرى فى بلاد السودان، وذلك لعدم ملائمة مناخها للجنود المصريين فضلاً عن انتشار بعض الأمراض الممثلة فى الجدرى والدوسنتاريا والحمى. لذلك اتخذت القوات المصرية لها مقراً فى واد مدنى التى بنيت منازلها من القش وأفرع الأشجار والجلود ، لذلك لم يكن موقعها ملائما لذلك، فاضطر محمد على إلى اختيار المنطقة الواقعة بين التقاء النيلين الأزرق والأبيض

(50) Baker returned to the same scene in 1869, but this time with a well-equipped military expedition and holding from the khedive of Egypt, the appointment of Governor General of basin of the Nile,. He was charged to extend the frontiers of the Egyptian empire and to suppress the slave trade. Margery and others. : African discovery. p. 230.

لتكون مقراً لعاصمته الجديدة ومركزا لقيادة جيوشه، فمنها يمكن الإشراف على بقية الأقاليم السودانية لأنها تتوسط بلاد السودان. هذا فضلاً عن كونها تقع فى ملتقى الطرق التجارية التى تأتى إليها من غرب وشرق السودان، وكذلك من مصر فى الشمال والحبشة فى الجنوب. ومن المعروف أن الخرطوم قبل الفتح المصرى لبلاد السودان كانت عبارة عن قرية صغيرة مكونة من عدد من المنازل، المبنية من القش والطين، وكان يسكنها صيادون فقراء يعملون بصيد الأسماك من النيل. ولكن بعد الفتح المصرى للسودان بنى بها قصراً من طابقين من الطوب الأحمر، كما بنى بها مقراً لقيادة الجيش وعدد من ثكناته. وفى الوقت نفسه شجع حكمدار السودان خورشيد باشا الأهالى على بناء منازلهم من الطوب وزودهم بالأخشاب مما جعل المدينة تظهر فى شكل جميل، واستمرت الخرطوم فى النمو والتطور حتى نهاية عصر محمد على، حيث بلغ عدد سكانها فى هذه الفترة ٣٠ ألف نسمة.

واستمرت مدينة الخرطوم فى التقدم والعمران وخاصة بعد أن بنى بها المستشفيات والمدارس والمساجد والمحال العامة والمقاهى والمنازل الحديثة كما نظمت شوارعها وميادينها. وفى نهاية القرن التاسع عشر أصبحت من أهم وأعظم المدن السودانية.

وبعد ذلك أنشأ الجنود المصريون مدينة فامكة التى تقع على النيل الأزرق، والتى تتبع مدينة سنار، كما شيدوا بلدة الروصيروس ومدينة كسلا، التى كانت عبارة عن قرية صغيرة مكونة من عدد من المنازل المبنية من القش وأفرع الأشجار، كما لم يراع فيها التنظيم، ولكن فيما بعد أصبحت مدينة بالمفهوم الحديث. (٥١)

وكان الجنود المصريون يقومون من وقت لآخر بتجديد المبانى، هذا إلى جانب إنشاء المدن الجديدة مثل مدينة بربرة التى ضمت ثكنات للجيش ومنازل للموظفين واسبتالية لعلاج الجنود والمواطنين، ومخبز كان يعمل به ثلاثة من جنود الجهادية فعمل الأول فراناً والثانى خبازاً والثالث نخالاً، وضمت كذلك مبنى الجمرك، فضلاً عن ذلك فإنها زودت بالمياه العذبة عن طريق المواسير، وذودت

Mandour El- Mahdy: A short history of the Sudan P. 69.

كذلك بالإضاءة الحديثة. وقد بنيت هذه المدينة فى الفترة مابين ١٨٧٢، ١٨٧٧م. ومن الملاحظ أن بربرة حظيت بنصيب وافر من الإهتمام المصرى عن غيرها من البلدان الإفريقية الأخرى يبدو لأنها كانت مزدحمة بالسكان، هذا إلى جانب نشاطها التجارى. فكان لها علاقات تجارية مع بلاد الصومال والحبشة وعدن، فكان يرد إليها من هذه البلاد الأرز والتمر والأقمشة والتمباك والحديد والنحاس والخرز والقصدير والعاج والجلود وريش النعام. (٥٢)

ولم يقف بناء المدن فى الأقاليم الإفريقية عند هذا الحد، بل فى عام ١٨٣٩ تم إنشاء مدينة فى فازوغلى عرفت باسم مدينة محمد على وقد أنشئت هذه المدينة ليسكنها الجنود الذين يعملون بالتعدين فى مناجم الذهب. ومن المهم فى بناء هذه المدينة أن جميع مبانيها بنيت بالطوب الأحمر، وقد ضمت مبانيها قصراً للحاكم ومستشفى لعلاج الجنود، والمواطنين وثكنات للجيش، وكذلك بنى مخزن للذخيرة والمهمات وورشة لتصنيع القواديس التى تستخدم فى رفع المياه من النيل الأزرق وعلى أية حال فإن بناء هذه المدينة كان من أعظم الإنجاز العمرانى المتحضر فى هذه المنطقة النائية. (٥٣)

محاربة الرق فى أفريقيا :

كانت القوات المصرية فى السودان فى عصر محمد على تقوم بإرسال الزنوج إلى مصر كى يجندوا فى الجيش، وكان محمد على لا لوم عليه فى هذا السبيل، لأن تجارة الرقيق فى أفريقيا كانت متأصلة فى كيان البلاد السياسى والأقتصادى. ولكن لما ظهرت حركة المناداة بوقف تجارة الرقيق فى أوروبا طلبت بريطانيا من محمد على باشا أن يعمل على وقف هذه التجارة وكان ذلك فى عام ١٨٣٧م وأرسلت إلى مصر عضو البرلمان البريطانى جون بورنج John Bouring وقد استجاب والى مصر لهذا المطلب، وأرسل على الفور إلى حكمدار السودان يخبره ضرورة العمل على إلغاء هذه التجارة التى أصبحت مشينة بالنسبة للعالم المتحضر. وفى نفس العام طلبت جمعية إلغاء الرق من محمد على أيضاً إلغاء هذه التجارة التى

---

(٥٣) دفتر ١١ وثيقة ٢٦١ ص ١٨٣ فى ٢٠ ذى القعده ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م.

انتهت تماماً فى أوروبا واستجاب محمد على لمطلب الجمعية. (٥٤) ودليلنا على ذلك أنه قام بزيارة السودان عام ١٨٣٧، وهناك حرر ٥٠٠٠ عبد من أبناء أفريقيا كانوا معدين للتصدير، و يعتبر هذا موقفاً طيباً من الوالى. (٥٥)

وفى عهد محمد سعيد باشا أمر جنوده أن يقوموا بغلق أسواق الرقيق فى مصر ومنع التجار من الإتجار فيهم وعدم إحضارهم إلى مصر، كما قر تحرير العبيد الموجودين فى الأسر على شرط أن يوجد لهم أعمال يمارسونها. (٥٦)

وفى عهد الخديو اسماعيل كانت تجارة الرقيق فى أفريقيا على أشدها، فقرر القضاء عليها وذلك بإرساله حملة عسكرية إلى الجنوب، كان الهدف منها القضاء على تجارة الرقيق، فى جنوب السودان إلى جانب قيامها ببعض المهام الأخرى، ولا مجال هنا لسردها، كما أمر بإلقاء القبض على السفن التى تضبط محملة بالرقيق، وأمر كذلك بمراقبة سفن الشركة العزيزية المصرية التى تعمل فى البحر الأحمر ومنعها من نقل الرقيق إلى مصر أو غيرها من بلدان العالم (٥٧)

وقد توج عمل اسماعيل هذا بعقد معاهدة مع بريطانيا فى ٤ أغسطس عام ١٨٧٧، كان الهدف منها مساهمة الدولتين فى العمل المشترك فى القضاء على هذه التجارة سواء أكان ذلك فى الأقاليم الإفريقية أم السودانية وأوكلت الدولتان للجيش المصرى القيام بهذه المهمة، كما اتخذت الإجراءات الخاصة بتحديد نقطة مراقبة فى البوغازات وعلى الحدود وذلك لإلقاء القبض على تجار الرقيق أثناء اجتيازهم لهذه الحدود. وفى حالة قيام الجنود المصريين بإلقاء القبض على أحد التجار، يحررون له المحضر اللازم و يقومون بتسليمه إلى أقرب مركز عسكرى لمحاكمته وعتق مامعه من رقيق، واتفقت الدولتان أيضاً على أنه فى حالة إلقاء القبض على أحد التجار البريطانيين الذى يعمل بتجارة الرقيق تقوم القوة العسكرية المصرية بتسليم هذا التاجر إلى أقرب قنصلية بريطانية لمحاكمته وتحرير مامعه من عبيد، وفى حالة مايقوم الأسطول البريطانى بإلقاء

---

(٥٤) د. السيد يوسف نصر: الوجود المصرى فى افريقيا. نفس المصدر ص ٥٢ — ٥٤.

(55) Mohamed Shukry: Op Cit. PP. 79-81.

(56) Ibid. p. 112.

(57) Pierre crabites: Ismail the Maligned. PP 72- 73,77

القبض على أحد السفن المحملة بالرقيق يقوم بتسليم طاقمها للسلطات العسكرية المصرية لإجراء اللازم نحو محاكمة هؤلاء التجار، وقد تضمنت هذه اللائحة ٣٦ بنداً اشتملت على كل التعليمات الكفيلة بوقف هذه التجارة كما أوضحت كذلك دور كل دولة ومسئوليتها نحو المساهمة فى وقف هذه التجارة. (٥٨)

وعلى الرغم من عقد هذه المعاهدة وملحقها بين كل من بريطانيا ومصر، ورغم كل الخطوات التى اتخذتها القوات المسلحة المصرية فى أفريقيا لوقف هذه التجارة، إلا أنها ظلت تمارس، وذلك بسبب اتساع المناطق التى تجرى فيها تجارة الرقيق، فمن الصعب على أية قوات إحكام السيطرة والرقابة على مناطق شاسعة فى وقت كانت فيه المواصلات المستخدمة بدائية لا تتعدى الدواب ومراكب النيل، هذا إلى جانب عدم تعاون الإفريقيين أنفسهم فى القضاء على هذه التجارة المشينة لأنهم كانوا غير مؤمنين بإلغائها لأنها كانت من أهم المصادر الإقتصادية فى البلاد.

ولكن لما تولى توفيق باشا الحكم فى مصر عام ١٨٧٩م إتخذ من الإجراءات ماهو كفيل بوقف هذه التجارة غير الإنسانية فعين السير سال
الإنجليزى الجنسية مأموراً لمنع تجارة الرقيق فى مصر وأفريقيا بمرتب شهرى قدره، ١٠٠ جنيه مصرى، وزوده بعدد من الجنود والضباط المصريين كى يعاونوه فى مهمته. وانقسم هؤلاء الجنود والضباط إلى مجموعات ضمت مجموعة الرئاسة التى تتكون من كاتب فرنسى وآخر عربى بالإضافة إلى عدد من العمال. ويلى هذه المجموعة مجموعة السوارى التى تكونت من صاغ بمرتب شهرى قدره، ١٢ جنيهاً، واثنين ملازمين أول مرتب كل منهما ٥٤٥ قرشاً واثنين ملازمين ثوان مرتب كل منهما ٤٩٥ قرشاً واثنين يوزباشية مرتب كل منهما ٧,٥ جنيه، وصول بمرتب شهرى قدره، ٢٢٠ قرشاً، وباشجاويش بمرتب شهرى قدره، ٦٠ قرشاً، وثمانية جاويشية مرتب كل منهم ٤٠ قرشاً، وستة عشر أمباشياً مرتب كل منهم ٣٠ قرشاً، وأربعة بروجية مربب كل مهم ٢٠ قرشاً، وأثنين سروجية مرتب كل

---

٥٨ ــ انظر اللائحة والمعاهدة الخاصة بتجارة الرقيق فى كتاب الوثائق التاريخية للدكتور السيد يوسف نصر من ص ١٣٤ الى ١٥٠ .

منها ٢٠ قرشاً، ويلى هذه المجموعة مجموعة الهجانة التى تكونت من يوزباشى وملازم أول، وملازم ثانى وباشجاويش وبلوك أمين بمرتب شهرى قدره، ٥٠ قرشاً، وأربعة جاويشية وثمانية أمباشية واثنين بروجية و٨٤ جندياً. ويلى المجموعة السابقة مجموعة المشاة (البيادة) التى تكونت من اثنين يوزباشية واثنين ملازمين أول، واثنين ملازمين ثوان، وعدد من الصف والجنود. وقد زودت هذه البعثة بعدد من الدواب بلغ ١٦٥ حصاناً، ١١٠ جملاً، كما زودت بما يلزمها من الأسلحة والذخائر والمهمات والمؤن. ووزعت أفراد هذه المأمورية على كل من أسوان ودراو والواحات الخارجة وأبوصير، زيادة على ذلك فإن الخديو توفيق طلب من حكام الأقاليم السودانية التعاون مع هذه المأمورية وذلك لمنع مرور تجار الرقيق من المرور من خلال أقاليمهم. كما عين مفتشاً عاماً للإشراف على الإجراءات التى تتخذ لوقف هذه التجارة، هذا إلى جانب إصدار التشريعات التى تحرمها وتنزل العقوبات بالإشخاص الذين يمارسونها. (٥٩)

وعلى أية حال فإن الإجراءات التى اتخذتها مصر بغرض وقف تجارة الرقيق كانت على جانب كبير من الأهمية فقد لعب جنودها دوراً بارزاً فى القضاء على هذه التجارة، متحملين فى سبيل ذلك أقصى مشاقات السفر وصعوبة المعيشة. هذا إلى جانب تعرضهم إلى المخاطر. وكان من نتيجة هذا الجهد الذى قام به الجنود المصريون أن قضى على هذه التجارة فى الأقاليم الإفريقية التى كانت خاضعة لمصر. ولكن على الرغم من ذلك فإن هذا العمل العظيم الذى قام به جنودنا أثار سخط السودانيين الذين يعملون بتجارة الرقيق، حتى أنهم انضموا إلى جانب محمد أحمد المهدى فى ثورته ضد الحكم المصرى فى السودان، وكان لانضمامهم هذا أثره الفعال فى نجاح الثورة المهدية. ومن المعروف أن محمد أحمد المهدى أعاد تجارة الرقيق إلى الأقاليم السودانية مرة أخرى. ولكن بعد استرداد السودان قضت القوات المسلحة المصرية على هذه التجارة قضاء أبدياً بعدما ظلت تمارس طوال عصور التاريخ المختلفة.

---

(٥٩) محفظة ٧ ــ محافظ (مجلس الوزراء سودان) عام ١٨٧٧.

المواصلات :

تلعب المواصلات بكافة أنواعها دوراً إيجابياً فى نهضة الدول وتقدمها، سواء أكانت هذه المواصلات بحرية أم برية أم جوية، كما أنها تعتبر مقياساً، يمكن به معرفة مدى تقدم الدول فى المجالات الحضارية وهاآنذا فى الوقت الحاضر يمكن رؤية ذلك فى الدول المتقدمة تلك الدول التى تتمتع بشبكة سريعة من المواصلات المختلفة مما يحقق لها تقدمها الحربى والصناعى والتجارى والإجتماعى، إذن وسائل المواصلات فى هذا القرن تختلف تماماً عما كانت عليه فى القرن الماضى فإذا كانت هذه المواصلات قد توفرت فى دول أوروبا فى القرن الماضى إلا أنها كانت أقل شأناً فى أفريقيا عما هى عليه فى ذلك الوقت باستثناء مصر وجنوب أفريقيا أما بقية القارة فكانت المواصلات فيها لا تتعدى الدواب من جمال وحمير وأبقار وزوارق، محفورة فى سيقان الأشجار الضخمة وهذا ماشاهدته بعثة سليم الكشفية فى النيل الأبيض، زد على ذلك فإن نهر النيل لم يكن صالحاً للملاحة بصورة عامة، ويمكن مراجعة ذلك من النص التالى : (٦٠)

«The Nile Presents a number of difficulties to the navigator. The White Nile is obstructed by rocks, shallows and enormous islands of floating vegetation. The Blue Nile has great seasonal differences of water level and its course is barred by two dams neither of whcih has cocks. The combined river from Khartoum to the Egyprian frontier is broken by a series of cataracts.»

واضح من النص عاليه أن وسائل النقل فى السودان كانت قاصرة على النقل البرى الذى تستخدم فيه الجمال والحمير والثيران. وسبب ذلك يرجع إلى عدم صلاحية النيل للملاحة لكثرة الشلالات أو لضحالة المياه فى بعض أجزائه أو لوجود بعض الجزر التى تعترض مجراه أو لوجود سدود نباتية تعوق تقدم السفن. ولم يقتصر ذلك على النيل وحده بل شمل النيل الأزرق، الذى لا ترتفع مياهه إلا أثناء زمن الفيضان هذا إلى جانب وجود الشلالات التى لا تسمح بمرور السفن.

---

(60) Richard Hill.: Sudan transport. London, 1966.1965 P.I.

ومن الملاحظ أنه فى ظل هذه الظروف لايمكن استخدام النيل كطريق ملاحى له أهميته فى اقتصاد البلاد لهذا فكر محمد على فى فتح مسالك فى بعض شلالات النيل النوبى، ولكن مشروعه باء بالفشل، ومع ذلك فقد تغلب على هذه المشكلة باستخدام المراكب فى بعض أجزاء النيل الصالحة للملاحة، وعند الأجزاء غير الصالحة للملاحة تفرغ المراكب وتنقل البضائع على ظهور الإبل، ثم تشحن مرة أخرى فى السفن وهكذا حتى تصل إلى مصر.

وظلت المواصلات فى السودان فى عهد محمد على ، تعتمد على النقل البرى واستخدام الأجزاء الصالحة من النيل فى الملاحة طوال حكمه مع أنه قام بإنشاء ترسانة لصناعة السفن فى الخرطوم وأخرى فى سنار وذلك لوفرة أخشاب السنط فى هذه البلاد، ولكن كل هذه الخطوات لم تحل هذه المشكلة.

ولكن لم يستمر هذا الوضع طويلا، فقد تغير بمجيء اسماعيل إلى أريكة الحكم، ففكر أول مافكر فى إيجاد وسيلة مواصلات سريعة تربط بين مصر والسودان، وشجعه على ذلك كثرة الموارد الإقتصادية فى بلاد السودان، التى ستعود على الأمة بالنفع والخير. وتتمثل موارد السودان الإقتصادية فى البن الذى يزرع بمقادير كبيرة فى السهول الخصبة الكائنة بين عطبرة والنيل الأبيض، ويباع إنتاجه فى الخرطوم بأسعار زهيدة، بينما كانت تباع الذرة بسعر ريال مجيدى للأردب، وكان فى الإمكان تصدير الذرة إلى بلاد العرب ومصر وإلى جانب هاتين الغلتين يوجد الصمغ وسن الفيل، والسمسم والعقاقير (الشيح والسنامكى والنيلة) وريش النعام والجلود والمواشى التى تصدر إلى مصر. وهناك غلات زراعية تصدر إلى أوروبا مثل القطن والسكر والنيلة. وقد ساهم جنود الجهادية فى كل هذه الأعمال(٦١)

وكان من الخطوات التى اتخذها اسماعيل إرساله لعدد من البعثات العسكرية الكشفية وذلك لعمل دراسة على منطقتين يمكن من خلالها مد سكة حديد إلى السودان، وكانت أولى هذه المناطق المنطقة الممتدة من وادى حلفا

(٦١) محفظة ٣٦ (مجلس الوزراء سودان) ترجمة مذكرة محررة من ماسون بك عن تسهيل المواصلات مع السودان بمد سكة حديد إليها.

إلى الخرطوم، والمنطقة الثانية المزمع إنشاء خط حديدى يمر من خلالها، تبدأ من بربر عبر صحراء شرق السودان إلى سواكن على البحر الأحمر. وكان من أهم هذه البعثات البعثة التى ترأسها عبد القادربك وحسين إبراهيم أفندى والبكباشى الأمريكى المستر هاوكشو Hawkshaw وقد تمكنت هذه البعثة من دراسة المنطقة التى تبدأ من أسوان وحتى بربر، ورسمت خريطة لهذه المنطقة. (٦٢)

وفى عام ١٨٧٥ م تقرر أن يقوم جونسون Johnson مهندس السكة الحديد السودانية على رأس بعثة مكونة من ستة من الضباط المصريين من الرتب الصغيرة واشترط أن يكون على رأسهم بكباشى أو قائمقام وذلك للمساهمة فى الدراسة الخاصة بسكة حديد السودان . (٦٣)

وكان من المتبع أنه عندما يمرض أحد الضباط المهندسين المكلفين بالإشراف على مد سكة حديد السودان يستبدل بأحد الضباط، ففى ٢٩ اكتوبر عام١٨٧٨م تقرر أن يعين ضابط مهندس أركان حرب بدلاً من أحمد أفندى عزمى الذى أصابه مرض فى أعينة (٦٤)

ويمكن القول أن البعثات العسكرية المصرية الخاصة بعمل الدراسة اللازمة لمد سكة حديد السودان كانت قد بدأت تمارس عملها الواحدة تلو الأخرى منذ أن تولى اسماعيل حكم مصر عام١٨٦٣، واستمر عملها حتى نهاية حكمه ويتضح ذلك من قراءة هذا النص المستخرج من تقرير أحد البعثات الكشفية العسكرية. (٦٥)

---

(٦٢) د. السيد يوسف نصر: الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى إفريقيا فى القرن التاسع عشر ـ المصدر السابق ص ٢٠٢.

(٦٣) دفتر ٥ معيه سنية، وارد الإفادات صورة المكاتبة رقم ١٢٨ ص ١١١ فى ٣ رجب عام ١٢٩٢هـ الموافق ١٨٧٥م.

(65) sidney, F.C.E.: In cidents on a journey through Nubia to Darfoor . London, 1881. p.2.

«On 13th November 1875 we started up the Nile from cairo, our expedition consisted of eight civil engineers and one doctor, besides native assistants, soldiers and servants. Our object was to prospect and servey for a line of railway from Abbo Goosi to El- Fasher, or Tendelti, the Capital of Darfoor, Abbo Goois; is a consideraxble village six miles higher up the Nile than old Dongola, and on the line of the proposed Soudan railway, on the survey of the which I had been engaged in a subordinate capacity some years before. There was also to be a branch line surveyed from Sataire or Sotahl to Khartoom. Sataire, or Satahl, is the sits of two wells about eighty miles from Abbo Goossi on the proposed line to El- Fasher.»

وقد انتهت هذه الدراسة التى قامت بها القوات المسلحة المصرية إلى الإتفاق على مد خطين أساسيين، يبدأ أحدهما من حلفا وحتى الخرطوم، و يبدأ الثانى من بربر الواقعة على النيل وحتى سواكن على الساحل الغربى للبحر الأحمر. وبعد ذلك تم إنشاء ٥٤ ميلا من خط خلفا ــ الخرطوم، وبالفعل تم تشغيل سبعة أميال من هذا الخط (٦٦)

ولكن تسيير هذا الخط أغضب غردون باشا الذى عمل بكل جهده لدى الخديو اسماعيل، حتى أمر بإيقاف العمل قيه تماماً. ولكن بعد قيام الثورة المهدية فى السودان عام ١٨٨١، وبعد إجبار مصر على التخلى عن أملاكها فى أفريقيا، وبعد مقتل غردون نفسه، قررت مصر و بريطانيا استرداد السودان، كما قررتا مد السكة الحديد أثناء تقدم القوات الزاحفة، وبالفعل أستؤنف العمل فى مد سكة حديد السودان مرة ثانية، وكان لها أثر كبير فى تحقيق النصر على قوات الدراويش. زيادة على ذلك فإن مصر بجنودها تمكنت من مد سكة حديد تربط بين بربر وسواكن، وقد تم تشغيل هذا الخط عام١٩٠٥. وبذلك يكون قد أنشىء بالسودان أكبر وأطول وأهم خطين حديدين كانا بداية لشبكة السكة الحديد السودانية فيما بعد(٦٧). وبدون شك فإن هذين الخطين ساهما فى التجارة السودانية إلى حد كبير حيث اختلف الوضع عما كان عليه الحال قبل ذلك تماماً.

---

(67) Sudan, the Nile Red sea Railway. Lond, 1884.

وإلى جانب دور الجيش المصرى فى مد سكة حديد السودان، فقد ساهم هذا الجيش أيضاً فى إنشاء شبكة مواصلات سلكية ولاسلكية. ففى مجال التلغراف أنشأ الجيش خطوط التلغراف فى أفريقيا الشرقية، بحيث كانت تربط بين استنبول والحجاز والسويس وبقية الأقاليم الإفريقية، كما أنشأ الجيش المصرى العديد من مكاتب البريد إبتداءا من حُلفا وحتى بلدة غندوكرو. فكان هناك حركة منتظمة لنقل البريد والحوالات البريدية والطرود لم تشهدها الأقاليم الإفريقية من قبل، ولا نبالغ إذا قلنا إن هذه البلاد لم تكن تعرف نظام البريد قبل فتح القوات المسلحة المصرية لأواسط أفريقيا.(٦٨)

خدمات أخرى

كان للجيش المصرى العديد من الخدمات التى تمثلت فى الصحة ، ففى عهد محمد على أنشئ مستشفى عسكرى فى الخرطوم لعلاج الجنود ، و بدون شك ساهم هذا المستشفى فى علاج المواطنين ، بل وقدم لهم النصح والأرشاد بدلا من اعتمادهم على الطرق البدائية فى علاج مرضاهم . وفى عصر إسماعيل طلب حكمدار السودان من الصاغ/محمد شكرى احمد ضابط الأطباء القيام بتعليم أبناء السودان مهنة الطب وخاصة من خريجى المدرسة الإبتدائية ، فوافق الصاغ/محمد شكرى على ذلك ، ولكن لما عرض الأمر على الخديو إسماعيل رفض هذا المطلب اعتقادا منه أن مهنة الطب تحتاج الى وقت طويل ، ووعد أنه سيرسل أطباء الى السودان لسد هذا العجز (٦٩) . وفى عام ١٨٧٦ أنشئ مستشفى عسكرى فى كل من بلدة مصوع و بربرة وذلك لعلاج الجنود المصريين الموجودين فى هذين الإقليمين ، هذا الى جانب علاج المواطنين . ومن المعروف أن هذه البلاد الإفريقية لم تشهد هذا النوع من المستشفيات من قبل . ومما لا شك فيه إن هذه المستشفيات والإسبتاليات قد لعبت دورا إيجابيا هاما فى تاريخ الطب فى الأقاليم الإفريقية

(68) The officers of the Sudan government, the anglo Egyptian Sudan Compendium, London, 1905.

(٦٩) محافظ أبحاث السودان، دفتر ٥٨٤ معية تركى وثيقة ٣ ص ٥٨ فى ٣٣ شوال ١٢٨٧هـ الموافق ١٨٧٠م.

التى خضعت للإدارة المصرية فى القرن التاسع عشر. واذا كان النشاط الطبى المصرى قد توقف فى الأقاليم الإفريقية بعد إجبار مصر على تخليها عن ممتلكاتها فى افريقيا، الا أن هذا النشاط الطبى كان له أثره على السكان الوطنيين (٧٠).

وفضلا عن ذلك كله فقد ساهم ضباط وجنود الجيش المصرى فى عصر محمد على فى جلب الماشية السودانية الى مصر، والسبب فى ذلك يرجع الى أنه فى عام ١٨٢٤ أصاب مصر قحط أدى الى إصابة الماشية المصرية بالنفوق، ومن المحتمل أن يكون السبب فى ذلك راجع الى الحروب التى خاضها الشعب المصرى ضد حملة نابليون وفريزر والمماليك، فكل هذه الحروب أدت بدون أدنى شك الى هذه الكارثة لأن الناس أثناء الحرب لايمارسون أعمالهم العادية بطريقة منتظمة، بل يقومون بتوجيه كل أنشطتهم فى خدمة المجهود الحربى، وإزاء هذا الموقف شكل محمد على، نظارة عرفت باسم نظارة الماشية، أوكل اليها جلب الماشية السودانية، فقامت هذه النظارة بدورها بتجنيد عدد من الضباط والجنود للقيام بهذه المهمة هذا الى جانب قيامها ببعض الإجراءات التى كان منها إنشاء عدد من المحطات على طول نهر النيل ابتداء من الخرطوم وحتى أسوان، وتراوحت المسافة بين كل محطة والأخرى مسافة ١٠ ساعات من المسير، كما زودت هذه المحطات بعدد من المعالف التى يخزن فيها الحبوب والتبن والحشائش لتقديمها الى قطعان الماشية القادمة من السودان، وقد عين على كل محطه ضابطا يقوم بالإشراف على الماشية التى ترد الى محطته و يسجل أعدادها يوم بيوم. وكان جنود الجهادية يقومون بسوق هذه القطعان إبتداءا من مراكز تجمعها فى السودان وحتى مصر. وفى مقابل ذلك كانوا يحصلون على مكافآت مالية تتراوح بين ٧، ٦، ٥ قرشا للرأس الواحد حتى لا يهمل هؤلاء الجنود فى هذه الماشية أثناء الرحلة، وفى الوقت نفسه قام الضباط البيطريين باختبار الماشية السمينة والقوية التى تتحمل المسير حتى مصر، وكانت مدة خدمة الواحد من هؤلاء الأطباء البيطريين فى بلاد السودان لا تزيد عن سنتين فقط ربما لقسوة المناخ وربما أن يكون سبب ذلك يرجع الى عدم السماح

---

(٧٠) دفتر ١١ صادر معية تركى، وثيقة ٦١ ص ١٥١ فى ١ شعبان عام ١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦ م.

لهم بتكوين علاقات صداقة مع المواطنين فى السودان (٧١) وعلى أية حال فقد تمكن هؤلاء الجنود من جلب مايقرب من ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ رأس من الماشية منذ دخل الجيش المصرى الى السودان وحتى وفاة محمد على باشا . وقد وزعت هذه الماشية على الفلاحين المصريين بأسعار رمزية لا تتعدى ١١٥ قرشا للرأس الواحد (٧٢) .

والى جانب مساهمة أفراد الجيش المصرى فى جلب الماشية ساهم كذلك هؤلاء الجنود فى جمع الصمغ من السودان وإرساله الى مصر بكميات كبيرة . وفى الواقع لعب هؤلاء الجنود دورا رئيسيا فى جلب كميات كبيرة من الصمغ تقدر بنحو ٤٢٠٫٣٢٨ قنطارا تقريبا فى الفترة مابين ١٨٤٣ ، ١٨٤٩م . وكان محمد على باشا مهتما بهذه الغلة النقدية ، ودليلنا على ذلك أنه كتب الى حكمدار السودان خطابا جاء فيه « فبوصول أمرى هذا اليك إبرز ماعندك من الجهد والإهتمام وانقل الصمغ الموجود فى تلك الجهة بأجمعه الى دنقلة ، ولا تترك منه حبة واحدة ، وعرفنى إنك أتيت على آخره ، وارسله كله وهذا مطلبى » (٧٣)

واضح من هذا الخطاب مدى حاجة محمد على للصمغ السودانى ، أو بمعنى آخر مدى ما كانت عليه خزانة الدولة المصرية فى القرن التاسع عشر من حاجة للمال ، وهذا أمر طبيعى لدولة كانت قد خاضت أكثر من حرب . ومما لا شك فيه ، فأن هذه التجارة لم تعد بالفائدة على مصر فقط ، ولكنها أيضا عادت بالفائدة والنفع على سكان السودان الذين وجدوا لهذه الغلة النقدية فى مصر سوقا رائجة .

---

(٧١) محافظ أبحاث السودان دفتر ٢٠ معية تركى وثيقة ٣٨١ فى ٢١ شوال سنة ١٣٤١هـ، الموافق ١٨٢٥م.

(٧٢) محفظة ٩بحربرا، وثيقة ٨٧ فى ١٥ ربيع ثان ١٢٦٣هـ الموافق ١٨٤٦.

(٧٣) محافظ أبحاث السودان، دفتر ٤٣٢ صادر المعية، وثيقة ٤٨٣ فى ١٩ ذى الحجة عام ١٢٦٣هـ، الموافق ١٨٤٥م.

التعليم :

لم يقتصر دور الجيش المصرى الحضارى على الأدوار الحضارية السابقة ولكنه قام بأدوار حضارية أخرى، تمثلت فى نشر التعليم فى السودان وبعض الأقاليم الإفريقية الأخرى. ففى عهد عباس الأول قرر إنشاء مدرسة فى الخرطوم كان لها أكبر الفضل فى النهضة العلمية فى بلاد السودان فى القرن التاسع عشر. ولكن قبل أن نتحدث عن الخطوات التى اتبعت لفتح مدرسة إبتدائية فى الخرطوم، لابد لنا من إلقاء الضوء على نظام التعليم فى السودان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وكان التعليم فى السودان فى هذه الفترة تعليماً دينياً، كان يعرف بالتعليم الأهلى، وعلى هذا فقد قام المسجد والخلوة والمكتب بدور بارز فى هذا النوع من التعليم. ومن الواضح أن الخلاوى كانت منتشرة فى جميع بلدان السودان الشمالى، وكان ينفق عليها من دخل صاحبها، ومن الهبات والنذور، وإذا لم يكن صاحبها فقيها، فيقوم بتأجير فقيه براتب معلوم بحيث ينفق على هذا الفقيه وعلى تلاميذ الخلوة.

وكان أصحاب هذه الخلاوى من الأغنياء فهم يملكون الماشية والأرض الزراعية، ومن ناحية أخرى فإن تلاميذ الخلوة كانوا يقومون بزراعة أرض صاحب الخلوة، بل ورعى مواشيه، وجمع الحطب وإعداد الطعام. وقد استمر التعليم الدينى الأهلى هو التعليم الوحيد فى البلاد السودانية على عهد محمد على، باستثناء التحاق ستة أشخاص من أبناء وجهاء السودان بالمدرسة التجهيزية بالقاهرة ويقول الطهطاوى فى هذا الصدد مانصه «إنهم نقلوا إلى مكتب الزراعة ثم إلى مدرسة الألسن، وكان القصد من ذلك أن يتذوقوا طعم المعارف المتمدينة لينشروها فى بلادهم» وكان الطهطاوى قد شاهدهم أثناء وجوده فى الخرطوم وهم يمارسون عملهم ككتبة فى مديرية الخرطوم. ولكن مع ذلك فإن مصرحاولت من جانبها الإهتمام بالتعليم فى السودان فى عصر محمد على، فرتبت المرتبات للفقهاء حتى يتمكنوا من الإشراف على المساجد والخلاوى كى تؤدى رسالتها التعليمية.(٧٤)

ولكن لم يستمر هذا الوضع التعليمى فى السودان قائم ، بل تغير الى الأفضل ، وبخاصة عندما تولى عباس الأول حكم مصر فى ٢٠ من شهر رجب عام ١٢٦٦ هـ الموافق أول يونيو عام ١٨٥٠ م ، ثم تم تبادل المكاتبات بين كل من ديوان المدارس وديوان الكتخدا نظارة المالية وترسانة بولاق ، بشأن توفير وسائل ترحيل رفاعه وصحبه الى السودان . وفى اليوم التالى أخطر ديوان الكتخدا ترسانة بولاق وذلك لتوفير ذهبية لترحيلهم من القاهرة الى أسوان ، وكان عليهم أن ينتقلوا بعد ذلك بالقوارب الى كورسكو، ثم يمتطون الجمال الى الخرطوم (٧٥) . وكان الطهطاوى قد أخذ معه المهمات اللازمة للمدرسة من أحرمة وسجاجيد وألواح صفيح وأحذية ومهمات أخرى . وعند هذا الحد أصبحت بعثة رفاعه رافع الطهطاوى الى الخرطوم حقيقة واقعة ، وأصبح افتتاح مدرسة الخرطوم مرهونا بهمة رفاعه ورفاقه . (٧٦)

وقد تضمن القرار الذى أصدره عباس الأول أن يكون نظام مدرسة الخرطوم موافق لأصول المدارس المصرية بحيث تتسع هذه المدرسة لنحو ٢٥٠ تلميذا من أبناء السودان ، وبخاصة من مديريات دنقله والخرطوم وسنار والتاكه ، وكذلك من أبناء المصريين الذين يعملون فى تلك البلاد . (٧٧) .

ولكن يمكن أن نتساءل بالقول ، لماذا أختير رفاعه رافع الطهطاوى لرئاسة هذه البعثة التعليمية . والجواب على ذلك ؛ أن رفاعه رافع الطهطاوى كان يمثل فى واقع الأمر أبرز شخصية مصرية ثقافية علمية فى هذا العصر ، لذا كان من المحتم أن نلقى الضوء كاملا على حياة هذه الشخصية لما لها من أهمية بعد الحديث عن دور الجيش المصرى فى نشر التعليم فى السودان .

وكان الطهطاوى قد أصطحب معه الى الخرطوم عددا من المدرسين الأكفاء من ضباط الجيش المصرى من أمثال القائمقام محمد بيومى ، والملازم ثان/ ابراهيم

---

(٧٤) د. أحمد أحمد سيد أحمد: رفاعة رافع الطهطاوى فى السودان. ص ص ٥٩، ٦٠، ٦٤.

(٧٥) دفتر ١٩٥٨ معية سنية، وثيقة رقم ٤ تركى ص ١١٩ فى ١٧ رجب عام ١٢٦٦هـ، الموافق ١٨٥٠م.

(٧٦) دفتر ١٣ وارد المعية عربى، وثيقة رقم ٨ مرور ص ٣٠٨ جماد أول ١٢٦٩هـ. الموافق ١٨٥٣م.

(٧٧) دكتور/ محمد فؤاد شكرى: الحكم المصرى فى السودان. المصدر السابق. ص ص ٤٩ — ٥٠.

محمد ، والصاغ/احمد كامل افندى والملازم ثان/عثمان افندى ، والملازم أول/على محمد افندى ، والملازم ثان/محمد مرسى افندى ، والملازم ثان/أمين افندى . ومن الواضح أن عمل ضباط الجيش لم يقتصر على خوض المعارك أو التخطيط لها ، بل شمل وظائف أخرى لا تقل فى أهميتها عن الحرب ، وقد تمثلت هذه الوظائف فى التدريس (٧٨) ولكن بعد وصول هذه البعثة من رجال الجيش الى الخرطوم رفض الطهطاوى افتتاح المدرسة اعتقادا منه بأن عباس أرسله الى السودان حتى يتخلص منه . وظل مدة ثلاث سنوات ومعه رفاقه دون عمل . والسبب فى ذلك يرجع الى إعتقاده بأن مجيئه الى السودان كان بهدف النفى والإبعاد لابهدف نشر التعليم فى بلاد السودان ، وزاد من اعتقاده قيام عباس الأول باغلاق جميع المدارس المصرية ، والإبقاء على عدد يسير من هذه المدارس ، وفى الواقع أن عباس لوكان يريد نشر التعليم فى السودان حقا لتطلب منه ذلك الإبقاء على رفاعه فى القاهرة حتى تستفيد الدولة بخبرته فى نشر التعليم فى مصر بصفته رائدا من رواد العلم والمعرفة ، واكتفى عباس فى هذه الحالة بإرسال غيره الى بلاد السودان كى يقوموا بهذه المهمة هناك . وهذا الإحتمال على جانب من الصواب ، وقد دفع ذلك رفاعه رافع الطهطاوى الى التأخير والتباطؤ فى فتح هذه المدرسة ، وظل يشكو الى أصدقائه و يقضى وقته فى كتابة الشعر الذى يعبر فيه عن حبه لوطنه مصر ، والى بلده طهطا مسقط رأسه ، والى أولاده و يتضح لنا ذلك من قراءة الأبيات الشعرية التالية :ـــ

وقد فارقت أطفالا صغارا بطهطا	دون عودى واعتيادى
أفكرفيهم سرا وجهراً	ولا سمرى يطيب ولا رقادى
وعادت بهجتى بالنأى عنهم	بلوعة مهجة ذات اتقاد
أريد وصالهم والدهر يأبى	مواصلتى و يطمع فى عنادى (٥٤)

واضح من هذه الأبيات الشعرية أن رفاعه الطهطاوى كان فى حالة سيئة وكان شغله الشاغل هو التفكير فى أبنائه الذين تركهم صغارا دون رعاية بل

(٧٨) دفتر ١٩٥٨ قرارات المجلس الخصوصى رقم ٤ ص ١١٩ فى ١٧ رجب ١٢٦٦هـ، الموافق ١٨٤٩م.

(٧٩) دكتور/ السيد يوسف نصر: الوجود المصرى فى أفريقيا فى القرن ١٩ المصدر السابق. ص ١٢٨.

وحرموا من حنان أبيهم . وزاد من هذه الشكوى قسوة مناخ السودان وصعوبة الحياة والمواصلات ، بسبب وجود الجنادل التى تعترض مجرى النيل النوبى ، فضلا عن وجود الصحراوات الجدباء التى تمثل عقبة كأداء أمام وسائل المواصلات بين مصر والسودان . ومن تلك الصحراوات صحراء بيوضه والعطمور وصحراء غرب السودان التى تمتد فيما بين الحدود الغربية والنيل ، وتمثل هذه الصحراوات التى تمتد فى انتظام من الغرب الى الشرق إمتدادا للصحراء الافريقية الكبرى التى تكاد تمتد بين ساحلى افريقيا الغربى والشرقى (٨٠) .

والى جانب هذه الصعاب السالف ذكرها فأن حكمدار السودان عبد اللطيف باشا الذى تولى الحكم فى السودان فى الفترة مابين ١٨٤٩ ، ١٨٥١ م كان قد وزع مهمات المدرسة على فرق الجيش ، ومن بعده عرقل فتح هذه المدرسة اسماعيل باشا أبوجبل الذى حكم فى الفترة مابين ١٨٥٢ ، ١٨٥٣ م والذى قال « ليس بالضرورة إرسال المدرسين والمهمات كى تفتح مدرسة الخرطوم لأن ذلك يؤدى الى زيادة الإنفاق على هذا الإقليم (السودان) » وعلى هذا عمل مدرسى المدرسة فى الأعمال العامة بعيدا عن التدريس ، وعلل الحكمدار هذا الإجراء بأن الحكمدارية ليس لديها مهندسين يقومون بإنشاء المبانى التى تدعو الحاجة الى إنشائها بالأقاليم السودانية . ولم يكتف حكمدار السودان اسماعيل أبوجبل بهذا كله بل أنه أرسل رفاعه الطهطاوى الى منطقة النيل النوبى ، شمال الخرطوم كى يكتب تقريرا عن عدد السواقى وأشجار النخيل بمديرية دنقله توطئة لربط الضرائب على الأهالى ، وقد اعترضت القاهرة على هذا التكليف . و يتضح ذلك من قراءة البرقية التالية « لقد استغربنا هذا الأمر فإنكم لعلى علم بأن رفاعه قد عين لتنظيم مدرسة الخرطوم ، ووضع أسس الدراسة بها وعليه نطلب منكم إعادته الى المهمة التى أرسل من أجلها الى السودان ، وهى تنظيم مدرسة الخرطوم ونطلب بيان الأسباب التى أدت الى ذلك » (٨١)

---

(٨٠) دكتور/ صلاح الدين على الشامى: المواصلات والتطور الإقتصادى فى السودان. ص ٢.

(٨١) صورة كتاب على باشا حكمدار السودان رقم ٦٧ المرسل إلى كتخدا الخديوى فى ٤ ذى الحجة ١٢٧٠هـ. الموافق ١٨٥٤م.

وعلى الرغم من كل هذا ، الا أن رفاعه لم يبادر بفتح المدرسة و بخاصة بعدما أصيب زملاؤه بالمرض بل ومات البعض منهم من أمثال صديقه بيومى أفندى الذى زامل الطهطاوى فى مصر وفى فرنسا وفى السودان . وكان من نتيجة ذلك أن تأخر فتح المدرسة ، و يتضح ذلك من قول الطهطاوى وهذا نصه « فلبثت فى الخرطوم نحو أربع سنوات بلا طائل ، وتوفى نصف من جمعيتى من الخوجات المصريين » و يضيف تلميذه ومترجم حياته صالح مجدى مانصه « ولم يرجع معه رحمه مولاه الى القاهرة الا من كان فى أجله فسحة من الوقت » .

ولم تقف القاهرة مكتوفة اليدين حيال نقص المدرسين فبادرت بإرسال أساتذة بدل الذين توفوا بسبب المرض ، كما أرسلت كل احتياجات المدرسة من المهمات والأدوات . و بعد ذلك طلب عباس الأول من حكمدار السودان فتح المدرسة وناشده بذل الهمة والإجتهاد فى العمل والمبادرة الى موافاة القاهرة بعدد التلاميذ الذين التحقوا بها وإحاطته أولا بأول بأخبار سير الدراسة بها . وأخيراً و بعد كل هذه الصعوبات فتحت المدرسة فى شهر يوليو عام ١٨٥٣ م . و بلغ عدد تلاميذها عند افتتاحها ٣١ تلميذا . وكانت المدرسة داخلية على غرار مثيلاتها بالقاهرة وتضمنت مواد الدراسة بها القرآن الكريم والنحو والصرف والحساب والهندسة والخط واللغة التركية والتدريب العسكرى . وعلى الرغم من ذلك فلم تستمر الدراسة بالمدرسة الا ثلاثة عشر شهرا توقفت بعدها بسبب وفاة عباس الأول وتولية محمد سعيد حكم مصر ، فهو الذى أمر بأغلاق هذه المدرسة وعودة هيئة التدريس بها الى القاهرة (٨٢) .

ولكن لم يستمر توقف الدراسة فى مدرسة الخرطوم مدة طويلة بعد عودة البعثة المصرية التعليمية ، التى كانت تحت رئاسة رفاعه رافع الطهطاوى الى القاهرة . بل نلاحظ أنه عندما تولى اسماعيل حكم مصر أمر بانشاء خمس مدارس فى كل من بربر ودنقله وكردفان والتاكه والخرطوم ، وقد زودت هذه المدارس بالمدرسين الأكفاء . وكانت تكلف الحكومة المصرية الأموال الطائلة ، ولكن مصر كانت مؤمنة برسالتها نحو العمل على نشر التقدم العلمى فى الأقاليم الأفريقية . وكان

(٨٢) دكتور/ أحمد أحمد سيد أحمد: المصدر السابق. ص ١٠٧.

نظام التعليم فى هذه المدارس ينقسم الى قسمين ، قسم خارجى بالمصروفات ، أى كانت تكاليف كل تلميذ تبلغ ريالا مجيديا ، وقسم داخلى أى كانت الدراسة فيه بالمجان ، وقد تضمنت المواد الدراسية التى كانت تدرس فى هذه المدارس ، اللغة التركية والعربية والهندسة والرياضة والخط . (٨٣) .

والى جانب الخمس مدارس السابقة فقد انشئت فى عهد اسماعيل ثلاث مدارس أخرى فى كل من سواكن ومصوع وباغوص لتعليم التلاميذ القراءة والكتابة . ففى عام ١٨٧٦ طلب اللواء محمد نادى من الخديو إسماعيل أن يوافق على إنشاء مدرسة فى هرر لتعليم أبنائها القراءة والكتابة ، وذلك لوجود مكان متسع فى هرر يصلح لأن يكون مدرسة ، كما كان على المديرية القيام بإنشاء الكراسى اللازمة لجلوس هؤلاء التلاميذ ، وكان على الحكومة المصرية القيام بتكملة التعليم لهؤلاء التلاميذ فى مصر بعد إنتهائهم من مرحلة الدراسة الإبتدائية ، وتقرر أن يصرف لكل تلميذ فى كل أسبوع قرش واحد علاوة ، هذا فضلا عن حصول التلميذ على نصف مرتب جهادى ، زيادة على منحه فى كل سنة طاقيتين وطربوش وجلابية متوسطة الطول ومحاط أسفلها وياقتها بدوائر حمراء ، كما يمنح التلميذ سروالا شبيها بالبنطلون . وتقرر أن يدرس تلاميذ هذه المدرسة علم الزراعة والخط والحساب والقرآن الكريم والعقائد الدينية .

وعندما بدأت هذه المدارس تؤتى ثمارها قامت الثورة المهدية فى السودان ، فأغلقت جميع هذه المدارس التى أنشأتها مصر والتى كانت من أعظم الإنجازات الحضارية فى بلاد السودان خاصة والأقاليم الإفريقية عامة . ولكن بعد استرداد السودان أعيد فتح هذه المدارس ، وأصبح يدرس فيها هذه المرة اللغة العربية والانجليزية وغيرها من العلوم الأخرى . وقد أدى خريجوا هذه المدارس أعمالا طيبة لبلادهم . (٨٤) .

ويتضح لنا بعد هذا العرض أن رفاعه الطهطاوى ذهب الى السودان بغرض نفيه والتخلص منه لا بهدف نشر التعليم هناك ، ودليلنا على ذلك إنه بمجرد أن

---

(٨٣) راجع كتاب رفاعة الطهطاوى فى السودان تأليف د. أحمد أحمد سيد أحمد عام ١٩٧٣.

(٨٤) محفظة ٤٠ مجلس الوزراء سودان، عام ١٨٧٦م.

تولى سعيد حكم مصر أغلق المدرسة وطلب عودة رفاعه رافع الطهطاوى الى مصر للإستفادة بعلمه . فمن المؤكد أن عباس رغب فى التخلص منه خشية أن يقوم بتكوين جبهة معارضه تعمل ضده ، و يقال أن السبب فى نفيه يرجع الى كتابه تخليص الأبريز ، فهذا الكتاب كان يحوى أراء ومبادئ لا يرغب فيها عباس الأول لأنه كان مستبدا بطبعه فلابد أن الوشاة قد لفتوا نظر عباس لهذا الكتاب مما دفعه ذلك الى نفى الطهطاوى الى الخرطوم (٨٥) .

ولكن على الرغم من الفترة القصيرة التى واصلت فيها المدرسة مهمتها الاأنها كانت بمثابة النواة الأولى للنهضة التعليمية فى بلاد السودان خاصة والأقاليم الأفريقية عامة . وفى هذا الصدد يقول الطهطاوى ما نصه « وهكذا قد تعلم فقهاء الخرطوم ممن معى من المشايخ تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين فى ذلك و يضيف أيضا ما نصه : أن بعض الطلبة قد إستخدموا فى المدارس التى فتحها إسماعيل بعد ذلك » وكان من هؤلاء التلاميذ بساطى بك الذى عمل سكرتيرا الغردون باشا ، والذى يقول فيه الأخير« أن بساطى تعلم على يد علامة مشهور» (٨٦) .

واذا كان الشمال السودانى قد حظى بالنهضة العلمية الحديثة التى بدأتها مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر، الا أن الجنوب السودانى ظل محروما من هذه النهضة العلمية (٨٧) واستمر هكذا حتى دخلت البعثات التبشيرية الى السودان الجنوبى منذ نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر . فى ١٣ نوفمبر عام ١٨٤٩ قدمت بعثة كاثوليكية من أوربا كان على رأسها القس كنوبلخر Knoblecher الى الخرطوم ، ومنها توجهت الى غندوكرو ، وهناك قامت هذه البعثة ببناء منزل ومدرسة وكنيسة . وقام كنوبلخر بنسخ لغة البارى بواسطة إفريقى يدعى لوجيت Lcguit كما تمكن كنوبلخر من ترجمة الصلوات والترانيم المسيحية بلغة البارى كى يسهل عليهم ممارسة العقيدة المسيحية ، هذا فضلا عن قيام البعثة بإعداد قواعد النحو والمصطلحات اللغوية

---

(٨٥) دكتور/ أحمد أحمد بدوى : المصدر السابق ص ٥٠.

(٨٦) دكتور/ أحمد سيد أحمد : المصدر السابق ص ١٢٠.

(٨٧) دكتور/ محمد المعتصم : جنوب السودان فى مائة عام. ص ص ١٩٥ ــ ١٩٦.

الخاصة بلغة البارى والدنكا ، وقامت أيضا بإعداد ملخصات وافية ، للأناجيل المختلفة بلغة الشعوب النيلية الأخرى ، وقد ساهمت كل هذه الأعمال من جانب رجال البعثات التبشيرية فى نشر العقيدة المسيحية فى جنوب السودان (٨٨) بل وفى نشر التعليم بين سكان هذه المناطق . يفهم من هذا أن مصر لم تهتم بإدخال وسائل التعليم الحديث الى جنوب السودان ، ربما لصعوبة المواصلات ، وعدم توفير الأمكانات ، وربما أن مصر لم تضع فى اعتبارها نشر التعليم الحديث فى المناطق واكتفت بنشره فى الشمال ، ومن المحتمل كذلك أنها رغبت فى نشره فى الشمال أولا ثم كان عليها بعد ذلك أن تقوم بنشره فى الجنوب ، وهذا أمر طبيعى .

وبعد ذلك نعود مرة ثانية للحديث عن رفاعه رافع الطهطاوى ، لماله من أهمية فى هذه الفترة .

ولقد ولد رفاعة رافع الطهطاوى فى عام ١٢١٦ هـ الموافق ١٨٠١ وكان إسمه بالكامل السيد رفاعه بن بدوى بن على بن محمد بن رافع ، الذى يتصل نسبه بمحمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء ، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو من نسل الحسين ، و يتصل نسب أمه بالأنصار ، وقد عرف بالطهطاوى نسبة الى مدينة طهطا مسقط رأسه (٨٩) .

وعند ولادته كانت الأسرة تشكو عسرا فى المعيشة ، فسار به والده الى منشأة النيدة ، الواقعة بالقرب من مدينة جرجا ، وأقاما هناك زمنا ، ثم انتقلا بعد ذلك الى قنا ومن بعدها الى فرشوط . وفى خلال تلك الفترة حفظ رفاعه الطهطاوى القرآن وأتم حفظه عندما عاد الى طهطا ، وهناك أخذ يتلقى مبادئ العلوم الفقهية على يدى أخواله وهم من بيت علم . وفى عام ١٨١٧ م ، و بعد وفاة والده سافر الى القاهرة ، والتحق بالأزهر ، ونزل عند خاله الشيخ فراج الأنصارى ، الذى يعمل مدرسا بالأزهر ، وتعلم على يديه شرح الرملى فى مذهب الأمام الشافعى . وقضى

---

(٨٩) أنظر كتاب عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على. ص ص ٤٦٤، ٤٧٦، ٤٩٩.

88- Toniolo. E: Op. Cit .PP. 106,109.

رفاعه بالأزهر خمس سنوات ، وكان خلالها مثالا للطالب المثابر المجد . وفى تلك الفترة استعان على معيشته بأعطاء بعض الدروس الخصوصية ، ونظرا لتفوقه فأنه أصبح موضع احترام وتقدير من جانب شيوخه الذين وثقوا فى ذكائه . وفى أثناء دراسته الأزهرية ، كان يتردد على بلدته طهطا بين الحين والآخر ، وهناك كان يقوم بإلقاء بعض الدروس بجامع جده أبى القاسم . وانتهت دراسته الأزهرية عندما بلغ من العمر الحادية والعشرين ، وعمل بعد تخرجه مدرسا بالأزهر ، وفى تلك الأثناء تفوق فى التدريس ، وفى هذا الصدد قال صالح مجدى بك مانصه « كان رحمه الله (رفاعه رافع الطهطاوى) حسن الألقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من أخذ عنه ، فقد اشتغل فى الجامع الأزهر بتدريس كتب شتى فى الحديث والمنطق والبيان والبديع والعروض وغير ذلك ، وكان غاص بالجمع الغفير من الطلبة ..... وكان حسن الأسلوب سهل التعبير مدققا محققا قادرا على الإفصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة ، بحيث يفهم درسه الصغير والكبير ، بلا مشقة ولا تعب ولا كد » (٩٠) .

وقد تأثر رفاعه رافع الطهطاوى بشيخه وأستاذه الشيخ حسن العطار الذى أحبه وقربه اليه وتتلمذ رفاعه على يديه ، ومن المعروف أن الشيخ حسن العطار كان ضالعا فى الأدب وفنونه ، مما جعله ذلك يتفوق على من سواه من علماء الأزهر الشريف فدرس الشيخ حسن التاريخ والجغرافيا والأداب والرياضة والطب وغيرها وهى من العلوم التى لا تدرس بالأزهر فى ذلك الوقت ، وعلى هذا فقد شجع الشيخ حسن ، رفاعه رافع الطهطاوى على تناول هذه الكتب بالدراسة .

ولكن قبل سفر رفاعه الطهطاوى مع أعضاء البعثة الى فرنسا كان قد عين فى عام ١٨٢٤ واعظا وإماما فى أحد الآلايات بالجيش المصرى النظامى الذى أسسه محمد على فأنتظم رفاعه الطهطاوى فى الآلاى الذى يتولى قيادته حسن بك المناسترلى ، ثم انتقل بعد ذلك الى الآلاى الذى يتولى قيادته أحمد بك المنكلى ، وكلاهما من أعظم قواد الجيش المصرى فى عصر محمد على . (٩١)

---

(٩٠) أنظر كتاب، أحمد أحمد سيد أحمد: المصدر السابق. صص ٤٧٦، ٤٩٩.

(٩١) عبد الرحمن الرافعى: المصدر السابق ص ٥٠٢.

وفى عام ١٨٢٦ سافرت البعثة العلمية الذى قرر محمد على سفرها الى فرنسا ، وكان من ضمن أفراد هذه البعثة رفاعه رافع الطهطاوى . وكان من مهمتها دراسة العلوم التى تحتاجها البلاد المصرية سواءاً كان ذلك فى مجال القانون أم السياسة أم الطب أم الجراحة أم التاريخ الطبيعى أم الكيمياء أم الفنون الحربية والبحرية والزراعية وغيرها من العلوم الأخرى (٩٢) وكانت هذه البعثة على جانب كبير من الأهميه لا لأنها أولى البعثات الكبيرة التى أرسلت الى فرنسا فحسب بل لكثرة عدد من تفوق من بين أعضائها المصريين . وكان من بين هؤلاء المتفوقين أرتين بك الذى عين وكيلا لشورى المدارس ، فضلا عن شغله لوظيفة مترجم للوالى ومصطفى مختار الذى تولى منصب ديوان الجهادية ومجلس الملكية وشورى المدارس ، ثم عين بعد ذلك مديرا لديوان المدارس وحسن الأسكندرانى رجل البحرية المصرية الذى إشتهر بعد ذلك فى حرب القرم ، بوصفه قائدا للأسطول المصرى ، ومظهر باشا مهندس القناطر الخيرية ، ورفاعه رافع الطهطاوى الذى الحق بهذه البعثة ، إماما وواعظا لها (٩٣) . وقد تقرر له مرتب شهرى يعادل مرتب يوزباشى . وكانت الرتب العسكرية فى ذلك الوقت سارية فى الوظائف المدنية . ولم يكن رفاعه كغيره من الأئمة الثلاثه الذين رافقوه فى نفس البعثة فلم يتجاوز أحدهم حدود وظيفته بينما أعتبر رفاعه نفسه دارسا بالبعثة ، وهو فى باريس ، وقد نصح جومار(٩٤) بضمه الى البعثة بعد أن تأكد من استعداده وموهبته .

وفى باريس تعلم رفاعه الفرنسية فى ثلاث سنوات ، هذا فضلا عن دراسة للتاريخ والجغرافيا كما قرأ فى الفلسفة والأداب الفرنسية ، وقرأ عن كل من فولتير

---

(٩٢) دكتور/ أحمد أحمد بدوى: رفاعة رافع الطهطاوى، المصدر السابق ص ٢٠.

(٩٣) دكتور محمد فؤاد شكرى: بناء دولة مصر محمد على المصدر السابق ص ص ١٠٢، ١٠٣.

(٩٤) تولى جومار أمر الإشراف على هذه البعثة و يعتبر جومار من نوابغ الفرنسيين ومن كبار مهندسيهم وكان من ضمن علماء الحملة الفرنسية التى قدمت إلى مصر تحت قيادة نابليون واشترك فى تأليف كتابها النفيس (وصف مصر) وله فى هذا الكتاب أبحاث واسعة، فلم ينسى إقامته فى مصر التى أثرت فيه، وكان يرغب جومار فى نشر ثقافة بلاده فى وادى النيل. وقد أخلص فى إشرافه على البعثة إخلاصاً استحق عليه الشكر والتقدير من قبل محمد على باشا. أنظر كتاب الدكتور أحمد أحمد بدوى، رفاعة الطهطاوى ص ٢٠.

ومنتسكيو، وچان چاك روسو وراسين ، وعن علم المعادن والفنون العسكرية والرياضيات ، وفى فرنسا ترجم بعض الكتب فى العلوم المختلفة منها كتاب عن أصول المعادن ، وكتاب عن دائرة العلوم فى أخلاق الأمم وعاداتها ، وكتاب عبارة عن مقدمة فى الجغرافيا الطبيعية كما ترجم أيضا كتابا عن أصول الحقوق الطبيعية التى يعتبرها الأوربيون أصلا لأحكامهم ، وهذه النبذه مأخوذه من القدماء . وترجم كتابا عن تقويم عام ١٢٤٤ هـ ، كان الأستاذ جومار قد ألفه عن مصر والشام . وتضمنت تراجم الطهطاوى شذرات علمية وتدبيرية تمثلت فى نص من كتاب ملطبرون فى الجغرافيا وتمثلت كذلك فى نبذة فى علم هيئة الدنيا وفى نبذة فى علم الميثولوچيا التى تعنى جاهلية اليونان وخرافاتهم ، كما تمثلت أيضا هذه النبذات فى نبذة عن علم سياسة الصحة وترجم كذلك نص من يوميات ضابطان عظيمان . هذا فضلا عن ترجمة ثلاث مقالات من كتاب الجندر فى علم الهندسة ، وترجم أجزاء من كتاب تخليص الأبريز ، وترجم دستور فرنسا ومقال سياسى عن حرب الدولة العثمانية مع روسيا عام ١٨٢٨ م ، وترجم مقال فى التاريخ وعدة رسائل وتقارير ، فضلا عن ترجمته لنظم العقود فى كسر العود ، وترجم مقالات من الصحف خاصة بالمسائل العلمية والسياسية . (٩٥)

وبعد عودة رفاعه الطهطاوى من فرنسا عام ١٨٣١ م عمل فى مدرسة الطب التى افتتحت فى قرية أبى زعبل برئاسة كلوت بك وكان التدريس فى هذه المدرسة باللغة الفرنسية ، أى أن رفاعه الطهطاوى كان المسئول عن الترجمة فى هذه المدرسة ، هذا الى جانب قيامه بالتدريس لعشرين تلميذا بالمدرسة الفرنسية الملحقة بمدرسة الطب حتى يتمكن خريجها من ممارسة الدراسة بالفرنسية فى مدرسة الطب ، وذلك بقراءة المؤلفات التى تصدر فى أوروبا وبعد ذلك أوكل الى الطهطاوى إدارة المدرسة التجهيزية للطب والتى كانت تعرف بأسم مدرسة المارستان ، وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات يتعلم الطلاب فيها مبادئ الحساب والهندسة ووصف الكون والتاريخ الطبيعى والتاريخ القديم والحديث والمنطق . وكان الناجحون فى هذه المدرسة يلتحقون بمدرسة الطب .

---

(٩٥) دكتور/ أحمد أحمد بدوى: المصدر السابق. ص ص ٢٨ — ٢٩.

وفى عام ١٨٣٣ انتقل الطهطاوى من العمل فى مدرسة الطب الى مدرسة المدفعية بطره وعهد اليه بترجمة العلوم الهندسية والفنون الحربية بدلا من المستشرق كيونج ومكث رفاعه فى هذه المدرسة مدة عامين أى ابتداء من ١٨٣٣ ، ١٨٣٥ م . وفى تلك الأثناء حدث وباء بالقاهرة وعلى وجه التحديد عام ١٨٣٤ فسافر رفاعه الى طهطا وهناك ترجم فى ظرف ستين يوما مجلدا من كتاب الجغرافيا الذى ألفه ملطبرون وعاد به الى القاهرة وقدمه الى محمد على فسر بعمله هذا . و يبدو أن رفاعه لم يكن راضيا عن عمله فى هذه المدرسة التى كان يرأسها استاذا أسبانيا يدعى ساكورا وسبب ذلك أن هذا المدير كان يكره المثقفين ثقافة فرنسية ، لهذا أعفى رفاعه من الخدمة فى هذه المدرسة وأوكل اليه نظارة مكتبة المدرسة التجهيزية بالقصر العينى ، وكانت تضم ١٥ ألف مجلد ، كتب معظمها بالفرنسية والإيطالية . وفى الوقت نفسه كان يرأس طلاب الجغرافيا بهذه المدرسة ولم يكن القصر ألعينى قد خصص بعد لمدرسة الطب .

و بعد ذلك إنتقل رفاعه للعمل بمدرسة الألسن لأن عصر محمد على كان عصر ترجمة اكثر منه عصر تأليف فكان كل همه تعريب الكتب الأجنبية وذلك للوقوف على علوم الغرب وآدابه ونظمه وطرقه فى معالجة شئون الحرب والزراعة والصناعة ووسائل العمران . ولم يوجد فى هذا الوقت أفراد من ذوى الكفاءة العالية فى الترجمة والقدرة على التحرير والكتابة . وإزاء هذا كان لابد من إيجاد وسيلة تحقق وجود طبقة من العلماء ليضطلعوا بمهمة تعريب الكتب الأجنبية حتى يكونوا على صلة بالثقافة العربية والغربية لهذا عرض رفاعه رافع الطهطاوى على محمد على فكرة إنشاء مدرسة الألسن فوافق محمد على وعهد اليه بأختيار طلابها على شرط أن يكونوا أقوياء البنية وأن يكون نصفهم من الوجه القبلى والنصف الآخر من الوجه البحرى ، و يتراوح سن الطلاب فيما بين ١٤ ، ١٨ عاما . وقد بادر الطهطاوى بأختيار طلاب هذه المدرسة من مدارس الأقاليم ومن مدارس الريف ومن طلبة الأزهر و بلغ عددهم فى بداية الأمر خمسين طالبا واختير بيت الدفتردار كمقر لهذه المدرسة ، فكانت تقع بجوار قصر محمد بك الألفى الذى سكنه بعده بونابرت ثم محمد على باشا ، وقد زاد عدد طلاب هذه المدرسة فبلغ ١٥٠ طالبا ولكن فى عام ١٨٤١ قررت لجنة تنظيم المدارس أن يكون عدد طلابها ستين طالبا وظلت محتفظة

بهذا العدد حتى نهاية عصر محمد على . وكانت مدة الدراسة بمدرسة الألسن خمس سنوات وقد تزداد الى ست . وكان يدرس بها اللغة الفرنسية والعربية والتركية والجبر والحساب والتاريخ والجغرافيا ، ولقد لقيت اللغة الفرنسية كل عناية عن سواها بين باقى اللغات الأخرى . وفى عام ١٨٤١ الحق بمدرسة الألسن المدرسة التجهيزية وأنشئ بها قلم للترجمة وقسم لدراسة الأدارة الملكية العمومية كى يعمل خريجوه فى المديريات والمصالح وأنشئ بها قسم لدراسة الأدارة والزراعة الخصوصية . وفى عام ١٨٤٧ أنشئ بها قسم لدراسة العلوم الفقهية وضم اليها مدرسة المحاسبة . وتخرجت أول دفعة من مدرسة الألسن عام ١٨٣٩ وبلغ عدد أفراد هذه الدفعة عشرين طالبا وألقى الطهطاوى خطابا بهذه المناسبة (٩٦) . وقد ساهمت بالفعل مدرسة الألسن فى إثراء النهضة العلمية فى البلاد حتى وفاة محمد على باشا .

ولكن لما تولى عباس الأول حكم مصر ١٨٤٩ م أصدر أمرا يقضى بأغلاق مدرسة الألسن وجميع المدارس الأخرى التى كانت قد أنشئت فى عهد جده محمد على باشا ولم يبق منها الا النذر اليسير فكأنما كان عباس يكره العلم والتعليم حتى إنه لم يكتف بأغلاق المدارس فى مصر بل أنه أرسل الى السودان طائفة من العلماء المصريين الذين مكثوا هناك فترة من الوقت عادوا بعدها الى القاهرة .

وبعد عودة رفاعه رافع الطهطاوى من السودان الى مصر ، شغل وظيفة ناظرا للقلم الأفرنجى بمحافظة القاهرة (مصر سابقا) وكان يعمل تحت رئاسة ابراهيم أدهم باشا . وفى عام ١٨٥٥ أوكل اليه محمد سعيد باشا رئاسة المدرسة الحربية التى كان يتولى شئونها سليمان باشا الفرنساوى ، وقد جمع بين هذه الوظيفة ونظارة قلم الترجمة ، ورئاسة مدرسة المحاسبة والهندسة ومدرسة العمارة . وفى عام ١٨٦٠ الغيت هذه المدارس ، كما ألغى قلم الترجمة ، فبقى رفاعه دون عمل حتى تولى اسماعيل حكم مصر عام ١٨٦٣ ، فعين الطهطاوى عضوا فى قومسيون المدارس (أى عضو فى مجلس نظارة المدارس) . (٩٧)

---

(٩٦) دكتور/ أحمد أحمد بدوى: نفس المصدر: ص ص٣٨ — ٤٣، ٤٥.

97- Toniolo: E: : Op. Cit. PP. 106,109.

وبعد ذلك تولى الطهطاوى رئاسة تحرير مجلة روضة المدارس التى أنشأها العلامة على مبارك عام ۱۸۷۰ م، حين كان وزيرا للمعارف العمومية فى عهد اسماعيل وهى مجلة علمية، أدبية، واجتماعية، واستمر رفاعه يشرف على تحريرها ويكتب فيها، فضلا عن مواصلة التأليف بل والأشراف على نظارة قلم الترجمة حتى وافته منيته، وكان عنده من العمر ٧٥ عاما. (٩٨)

ولكن مع ذلك فأن أثار الطهطاوى التعليمية لم تنته بعد وفاته، بل ظلت باقية تنير الطريق أمام الأجيال التى تعاقبت بعد ذلك، فهى تمثل التراث الذى خلفه الطهطاوى، والذى يعتبر بحق المحور الذى قامت على أساسه الحركة الوطنية فى مصر.

ويعتبر الطهطاوى شخصية فذة، بحيث أنه عاش للعمل، بل ووهب حياته له قاصدا من وراء ذلك رفعة البلاد ومجدها، فجزاه الله خير الجزاء، وعلى هذا فهو جدير بالتقدير والأحترام والتخليد.

وختاما فأننى أقول بكل أمانه أن الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر، لعب أدوارا عديدة، تعتبر على جانب كبير من الأهمية وبخاصة فى افريقيا السوداء التى لم يرأهلها أى مظهر من مظاهر التطور الحضارى المعاصر، فقام هذا الجيش بإيمان من انتمائه الى قارته المغلوبة على أمرها بالمساهمة الفعالة فى نهضة هذه القارة التى كانت فى معزل عن العالم المتحضر، فلم يكن هناك أدنى صلة بين أواسط القارة الإفريقية وبين أوروبا، ولكن الجيش المصرى الحديث إستطاع أن يكشف الغموض الذى خيم على أواسط هذه القارة بفضل حملاته الكشفية العديدة.

ويعتبر هذا العمل فى حد ذاته من الأعمال الحضارية الهامة. ولكن رغم كل هذه الأعمال التى قام بها الجيش المصرى فى إفريقيا فى كافة المجالات، ورغم ماتكبده من خسائر كبيرة فى أفراده وعتاده، الا أنه خرج من إفريقيا دون أن يجنى ثمار جهده، ولم يكن هذا الجيش هو المسئول عن هذه الكارثة الممثلة فى إجباره على تخليه عن مواقعه فى إفريقيا، ولكن المسئول الأول والأخير هم حكام مصر سامحهم الله.

---

(٩٨) عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على. المصدر السابق. ص ص ٥٢٤، ٥٢٦.

المصادر:

أولا : الوثائق :

١ ــ محفظة ٧ من محافظ مجلس الوزراء (سودان) عام ١٨٧٧

٢ ــ محفظة ٣٦ من محافظ مجلس الوزراء (سودان) ترجمة مذكرة ماسون بك عن تسهيل سكة حديد السودان .

٣ ــ محفظة ٤٠ مجلس الوزراء (سودان) عام ١٨٧٦ م .

٤ ــ محافظ أبحاث السودان ، دفتر ٢٠ معية تركى وثيقة ٣٨٨ فى ٢١ شوال عام ١٢٤١ هـ الموافق ١٨٢٥ م .

٥ ــ محفظة ٩ بحر برا وثيقة ٨٧ فى ١٥ ربيع ثان عام ١٢٦٣ م الموافق ١٨٤٦ م .

٦ ــ محافظ أبحاث السودان ، دفتر ٤٣٢ صادر المعية وثيقة ٤٢٣ فى ١٩ ذى الحجة ١٢٦٣ هـ ، الموافق ١٨٤٥ م .

٧ ــ دفتر ١١ صادر معية تركى وثيقة ٦١ ص ٥١ فى اشعبان عام ١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦ م .

٨ ــ دفتره معية تركى وارد الأفادات صورة المكاتبة رقم ١٣٨ ص ١١١ فى ٣ رجب عام ١٢٩٢ هـ ، الموافق ١٨٧٥ م .

٩ ــ دفتر ١٩٤٨ ، معية أو امر عربى ، مكاتبة رقم ٩١ ص ٤٧ فى ٢ محرم ١٢٩١ هـ ، الموافق ١٨٧٤ م .

١٠ ــ دفتر ١٩٥٨ قرارات المجلس الخصوص رقم ٤ ص ١١٩ تركى فى ١٧ رجب عام ١٢٦٦ هـ الموافق ١٨٥٠ م .

١١ ــ دفتر ٢٧ صورة المكاتبة رقم ٢٥ ص ٣١ معية عربى صادر الى ديوان الجهادية عام ١٢٩٥ ، الموافق ١٨٧٨ م .

١٢ ــ دفتر ١٣ وارد معية عربى ، وثيقة رقم ٢ مرور ص ٣٠٨ فى جمادى الأولى عام ١٢٦٩ هـ دار الوثائق التاريخية بالقلعة .

١٣ ـــ دفتر ١٩٥٨ معية سنية ، وثيقة رقم ٤ تركى ص ١١٩ فى ١٧ رجب عام ١٢٦٦ هـ الموافق ١٨٥٠ . دار الوثائق التاريخية بالقلعة .

١٤ ـــ صورة كتاب على باشا حكمدار السودان رقم ٦٧ المرسل الى كتخدا الخديو فى ٤ ذى الحجة عام ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٤ م .

١٥ ـــ دفتر ٥٢٩ معية تركى ، وثيقة رقم ٢ ص ١١٧ فى ٢٧ رمضان عام ١٢٨٠ هـ الموافق ١٨٦٤ م . دار الوثائق التاريخية .

١٦ ـــ دفتر ٥٧٦ معية تركى ، وثيقة رقم ٤ ص ١٥ فى ٥ شعبان عام ١٢٨٤ هـــ الموافق ١٨٦٧ . دار الوثائق التاريخية .

١٧ ـــ دفتر ١٩٢٣ أو امر عربى وثيقة ٢ ص ٦ فى ١٨ ربيع آخر عام ١٢٨٧ هـ ، الموافق ١٨٧٠ م . دار الوثائق التاريخية

١٨ ـــ دفتر ١٣٩ معية سنية ، وثيقة رقم ٥ ص ١٨ فى ٢٣ ربيع ثان عام ١٢٧٩ الموافق ١٨٦٣ م . دار الوثائق التاريخية .

ثانيا : المصادر العربية :

١ ـــ احمد احمد بدوى ، دكتور : رفاعه رافع الطهطاوى . الطبقة الثانية ، القاهرة عام ١٩٥٩ م .

٢ ـــ احمد احمد سيد احمد ، دكتور : رفاعه رافع الطهطاوى فى السودان . القاهرة ، عام ١٩٧٣ م .

٣ ـــ ابراهيم نصحى ، دكتور : دراسات فى تاريخ مصر فى عصر البطالمة . القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٤ ـــ ابراهيم شحاته حسن ، دكتور : مصر والسودان ، ووجه الثورة فى نصيحة العوام . الأسكندرية عام ١٩٧١ م .

٥ـ إدوار جوان ، تعريب محمد مسعود : مصر فى القرن التاسع عشر . القاهرة ، ١٩٢١ م .

٦ـ أحمد فخرى ، دكتور : مصر الفرعونية . القاهرة ، عام ١٩٦٠ م .

٧ـ الباحث المطلع محزون : ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الإنجليزية . الاسكندرية ، ١٩٣٥ م .

٨ـ السيد يوسف نصر ، دكتور : جهود مصر الكشفية فى افريقيا فى القرن التاسع عشر . القاهرة ، عام ١٩٧٩ م .

٩ـ السيد يوسف نصر ، دكتور : الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى افريقيا فى القرن ١٩ . القاهرة ، ١٩٨٠ م .

١٠ـ السيد يوسف نصر ، دكتور : الوجود المصرى فى افريقيا فى القرن التاسع عشر . القاهرة ، ١٩٨١ م

١١ـ بيير كرابيتس ، ترجمة محمد بدران : ابراهيم باشا . القاهرة ، ١٩٣٧ .

١٢ـ جلال الدين مصطفى يحيى ، دكتور : مصر الإفريقية والأطماع الإستعمارية فى القرن ١٩ . القاهرة ، ١٩٦٧ م .

١٣ـ حسن سليمان محمود ، دكتور : تاريخ السودان فى العصور القديمه . القاهرة ، بدون تاريخ .

١٤ـ صلاح الدين الشامى ، دكتور : المواصلات والتطور الإقتصادى فى السودان . القاهرة ، ١٩٥٩ م .

١٥ـ عبدالرحمن الرافعى : عصر محمد على . القاهرة ، ١٩٥١ م .

١٦ـ عبدالرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ، الجزء الاول . القاهرة ، ١٩٤٨ م

١٧ـ عبدالرحمن زكى ، دكتور : الجيش فى مصر القديمة . القاهرة ، عام ١٩٦٧ م .

١٨ـ عبدالرحمن زكى ، دكتور : الجيش المصرى فى العصر الإسلامى من الفتح العربى الى معركة المنصورة . القاهرة ، ١٩٧٠ م .

١٩ــ عبد الرحمن الرافعي ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في العصور الوسطى . القاهرة ، ١٩٧٠م .

٢٠ــ عمر طوسون : صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي ــ الجيش المصري البري والبحري . القاهرة ، ١٩٤٠ م .

٢١ــ محمد ابراهيم بكر ، دكتور : المدخل الى تاريخ السودان القديم . القاهرة ، ١٩٦٨م .

٢٢ــ محمد المعتصم ، دكتور : جنوب السودان في مائة عام . القاهرة ١٩٧١ م .

٢٣ــ محمد فؤاد شكري ، دكتور : الحكم المصري في السودان . القاهرة ١٩٣٧ م .

٢٤ــ محمد فؤاد شكري ، دكتور : بناء دولة ، مصر محمد علي . القاهرة ، ١٩٤٨

٢٥ــ محمد محمود والسروجي ، دكتور : الجيش المصري في القرن ١٩ . القاهرة ١٩٦٧م .

٢٦ــ نسيم مقار ، دكتور : رحلات البكباشي المصري سليم قبودان . القاهرة ، ١٩٦٠م .

٢٧ــ وولتر أمري ، ترجمة تحفة حندسة ، مراجعة دكتور عبد المنعم ابوبكر : مصر وبلاد النوبة . القاهرة ، ١٩٧٠م .

ثالثا : المصادر الأجنبية :

1. Abdin, Correspfran. Doss. 72/I.F. 20922: Caire 15 avril 1869.
2. Bulletin de la societe de Geographie, Juilet: Raport de selim. Capitain,: chef de L,exploration du F/eve blanc. 1839-1842.
3. Bruce Trigger: Nubia, under the pharaophs. Great Britain, 1976.
4. Chrstopher Lloyd: Sea Fights under sail. London, 1970.
5. Doubleday and Company Inc: Exploring Africa and Asia, The Encyclopedia of discovery and exploration. London, 1971.
6. De Bellofond, E. L. : Itineraire et notes. Bull. Soc. Kh. Geog. serie,I-V. Caire, 1876.
7. Elspeth Muxley: The challenge of Africa, the dark Continent. No. 12. London, 1971.
8. Ferdenand Werne: An expedition to discover the course of the White Nile, in the years 1840- 1841. Vol, 2. Cairo, 1849.
9. Fage. J.D: A history of Africa. London, 1979.
10. Gaston Zananiri.: Le Khedive Ismail et L,Egypte (1830-1894). Alexandrie annee, 1923.
11. Government Staff: Sudan , The Nile Red Sea Railway, London, 1884.
12. Governor General.: Summary of letters and Reports of his excellency, Part2. Cairo, 1877.
13. Josephine Kamm.: Explorers into Africa. London, 1970.
14. Margery Berham and simons.: African discovery. Oxford, 1957.
15. Mandour El-Mahdy.: A short history of the sudan. Oxford, 1965.

16. Mohamed fouad Shukrey. : Khedive Ismail and slavery in the Sudan. Cairo, 1938.

17. Nathan Hare and Youssef ben Jochannan.: Think Black. New York, 1970.

18. Officers of the Sudan Government.: The Anglo- Egyptian Sudan Compendium. London, 1905.

19. Philip Curtin and others.: African history. London, 1978.

20. Pierre Crabites. : Ismail the Maligned, Khedieve. London, 1933.

21. Richard Hill. : Sudan Transport. London, 1965.

22. Richmand. J. C.B: Egypt, 1798- 1925. London, 1977.

23. R.T. Unstead.: Egypt and Mesopotamia. London, 1977.

24. Sagy. J.O. and Wilson. D. A.: Africa, Amodern history, (1800-1975). London, 1978.

25. Sidney, F.C.E.: Incidents on ajourney through Nubia to Darfoor. London, 1881.

26. Toniolo .E.: The first centenary of the Roman Catholic mission to central Africa.S.N.R. Vol. xxVII. Cairo, 1940.

الناشـــــر
مكتبة مدبولى بالقاهرة
٦ ميدان طلعت حرب
ت ٧٥٦٤٢١
المطبعة الفنية القاهرة ت : ٩١١٨٦٢